

الطوارق II

الساحل المخيف

التينبكتي

الطوارق 2

TOUAREG

الساحل المخيف

إهداء

إلى روح

الأمنوكال الثائر

تقديم

استقطبت منطقة الساحل الافريقي إهتمام العالم بعد اعلان الجماعة السلفية للدعوة والقتال الجزائرية انضمامها الى تنظيم القاعدة العدو الأول للدولة العظمى أمريكا، وحلفائها في المنطقة ،خطر الانتحاريين أصبح الهاجس الذي يؤرق الدول في شمال افريقيا "أحداث 16 ماي و 11 مارس في المغرب " والحرب المستمرة بين الجماعة السلفية للدعوة والقتال والدولة الجزائرية، وفي أوروبا "أحداث مدريد ولندن" وفي أمريكا "أحداث سبتمبر".

تغيير الجماعة السلفية للدعوة والقتال وحلفائها السلفية الجهادية بالمغرب والجماعة المقاتلة بليبيا ، لأهدافها من الحرب على الدول المركزية لاسقاط الأنظمة وإقامة نظام بديل «إسلامي» الى التركيز على استهداف المصالح الغربية في المنطقة وفي العالم وإعداد جهاديين إنطلاقا من قواعد الساحل القريبة لأوروبا حول الحرب على الإرهاب الى الشاغل والحدث يومي للسلطة وللرأي العام .

في ظل هذا الاهتمام تطفو على الاحداث مشكلة سكان منطقة الساحل الطوارق وحربهم المستمرة ضد أنظمة المنطقة مالي النيجر الجزائر ضدا على سياسة الابداء والقمع واستمرار التهميش والتحذرات الأمريكية من تحالف بين الجماعات الإسلامية والمعارضة الطوارقية المسلحة.

في الصفحات التالي نحاول تفسير ما وقع مؤخرا بالمنطقة، وما اعتبر حلا لمشكل طال لعقود ونتطرق لمسار المسألة الطوارقية منذ خروج المستعمر الفرنسي الى اليوم ونورد تقارير منظمات دولية ومقالات لصحف عالمية تؤكد بأن شعب المنطقة تعرض للإبادة دون أن يحاسب الفاعلين، المحاسبة التي يعتبرها الطوارق شرطا أساسيا في أية مصالحة.

علي الأنصاري

الطوارق و استمرار التجاهل

لم تعرف أيا من القضايا العالمية ذات الطابع الإنساني تجاهلا ولا تهميشا ولا مبالاة، كما هو الشأن بالنسبة للمسألة الطوارقية، تلك الفئة ذات التاريخ العريق في شمال إفريقيا، والتي قاومت بكل السبل للبقاء حرة متمتعة باستقلال الشخصية ومتشبهة بهويتها وعاداتها وتقاليدها.

مقاومة الطوارق للانسلاخ لم تكن لترضي المستعمر الفرنسي الساعي لفرض "عصريته" لتهيب خلف يسائر طموح الاستغلال الاستعماري، ففقدت الكونينالية الفرنسية العزم على تشتيت الشعب الطوارقي بتقسيمه بين مستعمراتها، ليصبح اقليات مهمشة ومحترقة ومقموعة، لاقوة لها سهلة الذوبان في الآخر ومن ثم الذوبان والاضمحلال.

في الجزائر رغم كون ثلاثة أرباع مساحة الجمهورية الجزائرية تتشكل من مناطق طوارقية تاريخيا إلا أن هذه النسبة التي ظلت تتراجع شيئا فشيئا نظرا لسياسة جبهة التحرير الوطني الحزب الوحيد سابقا وجنرالات الجزائر، الذين وجدوا في هذه القبائل الثائرة ضد كل من يهدد هويتها، خطرا ايدولوجيتهم ومصالحهم المتمثلة في احتكار مداخيل تصدير البترول والغاز الذي توجد أكبر حقولهما في الجنوب الجزائري.

عملت جبهة التحرير ذات المرجعية القومية، منذ ما يسمى بالاستقلال على حصر الطوارق بالجنوب وفرض الأحكام العرفية التي لازالت مفروضة إلى اليوم بدليل العقوبات التي صدرت ضد المتظاهرين في يوليوز 2006. والذين قاموا بحرق مقر الولاية بتمنراست

ومقر الحزب الحاكم .

كان الجيش الجزائري يراقب الوضع عن قرب ويكسر طموحات التغيير المتوالية ، كان له الدور الأكبر في قمع وإفشال ثورة كيدال لسنة 1962 ، توالى الرؤساء على العاصمة الجزائرية ولم تتغير سياسة القمع والتجويع والتهجير والابادة" سمحت السلطات الجزائرية في بداية السبعينيات لفرنسا بإجراء تجربة نووية في الجنوب بعد سلسلة التجارب التي أجرتها على عهد الاستعمار ، كانت النتائج تفشي الأمراض وهلاك المراعي ويؤرخ الطوارق للعام بعام الموت نظرا لكثرة من مات فيه .

طوقت الجزائر ثورة التسعينيات وفرض على ولايتي تلمست وايلزي قانون طوارئ ، وكانت ولا زالت تبعد إلى الحدود المالية والنيجرية كل من يتهم بدعم ثورة الطوارق في مالي والنيجر ، بدعوى كونه غير جزائري ، قدمت الجزائر الدعم الكافي لمالي والنيجر للقضاء على التمرد الطوارقي ، وفرضت على قادة الحركات الطوارقية اتفاقيات خالية من أية مكاسب .

تعيش قبائل الطوارق ظروف معيشية مأساوية في الجنوب ثلاث دولة مصدرة للبترول والغاز" الجزائر" ، تحت دكتاتورية وقمع لم تعهده حتى في سنوات الاستعمار الفرنسي . لكن ذلك لم يمنع الطوارق من تشكيل حركات تحرير تطالب بتغيير واقع المنطقة سياسيا واقتصاديا ، حركة أبناء الجنوب خير مثال .

في ليبيا القذافي يستعمل الطوارق كأداة لتطويع الأنظمة المجاورة مالي ، النيجر ، الجزائر ، فمرة يتم دعوتهم للهجرة إلى ليبيا حيث التنمية وفرص الشغل ، ومرة يتم تمويل جماعات منهم لشن حرب ضد الدول المجاورة لاستعادة حقوقهم المهضومة ، ومرة يتم حثهم

على الاندماج والالتفاف إلى التنمية. الحديث عن وجود شعب طوارقي في ليبيا من أصول أمازيغية يعد بمثابة الجرم وخيانة لمبادئ الكتاب الأخضر المبشر بالوحدة العربية سابقا والإفريقية لاحقا، فالطوارق حسب مبادئ القذافي المتغيرة بين الحين والآخر قبائل عربية هاجرت إلى المنطقة منذ الأزل، ولا علاقة لهم بسكان الجبل "أي نفوسة وزوارة" يقطن الطوارق مناطق الجنوب الغربي من ليبيا في مدن أباري، سبها، غات أعدامس، ويشكلون أغلبية في هذه المناطق رغم التغيرات الديمغرافية التي حاولت ثورة الفاتح إحداثها، حيث عرفت المنطقة توافد هجرة كبيرة لطوارق مالي والنيجر نتيجة للثورات المتعدد التي تعرفها مناطقهم. تعتبر مناطق الطوارق بالجنوب الجزائري والجنوب الغربي لليبيا قواعد خلفية للثوار الطوارق الطامحين منذ خروج فرنسا، لنيل استقلال عن مالي والنيجر، فقد عهد حكام الدولتين عبر العقود الماضية، الطوارق رافضين للاستسلام والانصياع، فبقي العداء القاسم المشترك، والحذر السمة المتعامل بها.

لم تمر مرحلة دون تسجيل ثورة من قبل الطوارق، وأحداث مؤلة ضحيتها المدنيين الطوارق والمدير دائما ما يسمى بالجيش الوطني، هذا الأخير الذي حضى بدعم السلطة المركزية في نيامي وبماكو في أية عقبات ينزلها بشعب الطوارق بالشمال المتهم دائما بالانفصال.

قمعت ثورة كيدال بوحشية ذهب ضحيتها آلاف المدنيين الطوارق في مالي أهدمت الثروة الحيوانية، عاد الطوارق في بداية التسعينيات لحمل السلاح لتنبية العالم لمأساتهم، أطلقت حكومتي النيجر ومالي يد الجيش في الشمال ليفعل ما يريد، وذلك بمباركة من دول الجوار الجزائر وليبيا، كانت المذابح ضد المدنيين الطوارق العزل تجري على مرمى حجر من

الدول الديمقراطية، وجمعيات حقوق الإنسان الدولية. "أنظر التقارير"
حسنت الحركة الطوارقية معركتها القتالية مع الأنظمة في مالي والنيجر، وانتصرت
عسكريا، لكنها فشلت سياسيا على مستوى تدبير المفاوضات التي فرضتها على الأنظمة،
فخرجت خاوية الوفاض بوعود لم يتحقق أيا منها، عادت الحركة إلى العمل العسكري بعد أن
تيقنت بأن الوعود والاتفاقيات مجرد حبر على ورق، وبقناعة مفادها أن العمل العسكري لا بد
أن يكون مؤازرا بديناميكية سياسية وإعلامية، خاصة وأن المنطقة تشهد تحولات مهمة لعل من
أهمها إعلان فصيل من الحركات الإسلامية الجزائرية موالاته للقاعدة وإنشاء ما يسمى القاعدة
في بلدان الغرب الإسلامي .

التنمية مقابل السلام هل تتحقق ؟

إتفاق سلام آخر بين الطوارق ممثلين بالتحالف من أجل التغيير الديمقراطي من جهة
ودولة مالي من جهة أخرى ودائما بواسطة جزائرية ، تم توقيعه في ذكرى الاتفاقية الوطنية
للتسعينيات، وبنفس الوعود، وإن اختلف الظروف الدولية، تنص على تخلي الطوارق عن
المطالبة بالحكم الذاتي في شمال مالي وتسليم أسلحتهم، مقابل تنمية محافظات يشكون
فيها الأغلبية "كيدال وغاو وتمبوكتو" عبر موارد مالية إلترم مانحين دوليين بتقديمها، وتشكيل
دوريات من الشرطة لمكافحة الإرهاب وتهريب السلاح من 600 مقاتل طوارقي بعناد
جزائري .

يأمل الطوارق أن تسهم الظروف الدولية التي تعرفها المنطقة في تغيير واقع منطقتهم

المأساوي ، خاصة وأن الإتفاقيه التي تم توقيعها تدخل ضمن برنامج تشرف عليه الولايات المتحدة الأمريكية للتنسيق بين دول منطقة شمال إفريقيا والساحل ، لحصر الجماعات الإسلامية المتطرفة في منطقة ، والحيلولة دون تحالف بين القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي وقبائل الطوارق في مالي والنيجر والتي تقود عمليات تمرد ضد السلطات المركزية منذ التسعينيات كان آخرها في شهر يوليوز 2006 ، حينما استولى مقاتلين طوارق على مدينتي كيدال ومنكا شمال مالي .

وكان تقرير أمريكي حول المنطقة قد حذر من إتحاد المقاتلون الطوارق مع الجماعات الإسلامية ، معتبرا أن ذلك " سيشكل خطرا" ، ووقال مسؤول أمني الأمريكي ، بأن الأمريكيون "يعملون من منطلق ضعيف" في إشارة الى كون السياسة العسكرية التي لاتتيح وسائل عيش بديلة للسكان ، الذين يعيشون على الرعي ويعانون بالفعل من التهميش قد تسبب المزيد من الإستياء وتستعدي السكان المحليين ، تلك السياسة هي ما جعل العديد التبليغيين" حسب التقرير" يتمكنون من كسب الطوارق .

ووصف التقرير الصادر خلال شهر يوليوز من السنة 2005 ، مشاعر المقاتلين الطوارق السابقين بالإستياء الكبير ، وقال بأن هؤلاء الذين يعيشون حاليا في مدن كيدال وتبكتو في مالي وإكدر في النيجر لم تبذل أية جهود لدمجهم . ويرى التقرير أن الطوارق يعتبرون الوجود العسكري الأمريكي في المنطقة " خطرا على التوازن الدقيق للقوة الذي إستمر لسنوات طويلة في منطقة الصحراء" .

ولاتخفي الدوائر الأمنية في أمريكا وأوربا قلقها بعد تحول الطرف الجنوبي من

الصحراء في غرب إفريقيا إلى المرتع الجديد لارهابي القاعدة، فإتساع الرقعة الجغرافية وإنتشار أشكال التهريب والجريمة المنظمة وعدم الاستقرار ساعد الجماعات الاسلامية في إنشاء قواعد متنقلة يصعب تحديدها وتدميرها، لتجنيد وتدريب المتشددين المرتبطين بالقاعدة، تلقينهم أساليب حرب العصابات قبل إرسالهم إلى بلدانهم كخلايا نائمة في انتظار تلقي التعليمات، ويعتقد بأن هناك ثلاثة معسكرات في منطقة الساحل تدرب ما يصل إلى مائة رجل كل ستة أشهر، وكانت جريدة "البابيس" الإسبانية قد نقلت عبر موقعها على الأنترنت عن مصادر أمريكية وأوربية قيام عناصر مغربية بتجنيد جهاديين انتحاريين في اسبانيا قبل نقلهم الى قواعد في منطقة الساحل ليتلقبوا تدريبات على استخدام الأسلحة والمتفجرات، وأضافت نفس المصادر للجريدة أن أسامة بن لادن زعيم القاعدة وحلفائه الجزائريين تمكن من إقامة قاعدة لتدريب أعضاء تنظيمه في المنطقة، وبذلك تكون القاعدة قد حققت هدفها بالاستحواذ على قاعدة قريبة من أوروبا تتيح الانطلاق منها لمهاجمة الدول الأوروبية وأهداف غربية في شمال افريقيا.

تقدر المخابرات الفرنسية عدد المنتسبين الى الجماعات الاسلامية المتطرفة في شمال افريقيا بأربعة آلاف، ينتمي أغلبهم لدول الشمال الافريقي، منهم أكثر من ١٠٠٠ من أعضاء الجماعة السلفية للدعوة والقتال الجزائرية التي تنتشر في مناطق القبائل والشرق الجزائري والصحراء الكبرى، وأكثر من 500 من السلفية الجهادية المغربية، وأعضاء من الجماعة الاسلامية المقاتلة الليبية التي يرأسها عبد الله الصادق القابع في السجون الليبية في جانب نائبه في نفس التنظيم أبو حازم.

نقط الارتكاز

كان لعمار سيفي القيادي السابق في الجماعة السلفية للدعوة والقتال، والجندي السابق في الجيش الجزائري، سبق في إقامة نقط الارتكاز الاولى للقواعد المتحركة لجماعته في المنطقة الممتدة من حدود تشاد الى المحيط الاطلسي، وقد أثار زواج سيفي من ثلاث فتيات طوارقية، قلق السلطات الجزائرية والغربية من احتمالية تحالف الطوارق مع الجماعة السلفية للدعوة والقتال، مما حدا المسؤولين في الاجهزة الامنية الأمريكية على تشجيع الجزائر وليبيا على شراء تأييد الطوارق، وكان من أهم ثمار هذه التعاون اعتقال عمار سيف وتسليمه للسلطات الجزائرية، لكن تلك الضربة لم تحل دون توسع الجماعة وانتشارها في منطقة الساحل، وتعتقد المصادر أن نحو 20% من الذين يقومون بعمليات انتحارية في العراق قادمون من هذا التنظيم، وتم خلال سنة 2005 اعتقال 150 جزائريا وهم يحاولون اجتياز الحدود السورية الى العراق للانضمام الى جماعات المقاومة الطرقية.

تنافس ليبيا جزائري

التنافس الليبي الجزائري على النفوذ في شمال مالي يزداد يوما بعد يوم، فالجزائر الساعية الى اقناع الغرب بأهميتها ودورها في المنطقة، ترى بأن خطط وتصريحات وأموال القذافي تسعى الى تقويض هذه المساعي.

يراهن القذافي على دور اقليمي في الحرب على الارهاب والوساطة لحل أزمات

المنطقة لكسب الرضى الامريكى والرفع بعملية التعاون وطى صفحة الماضي او على الاقل
تغطي الولايات المتحدة الأمريكية عن خروقات حقوق الانسان في ليبيا .

الخلاف الليبي الجزائري حول منطقة شمال مالي بدأ بعد اقدام الجماهيرية على
فتح قنصلية لها بمدينة كيدال على الحدود الجزائرية المالية ، وزادت حدة الخلاف بعد خطاب
القذافي بتبكتو بمناسبة عيد المولد 2005 والذي دعا فيه قبائل الطوارق الى التوحد في إطار
فيدرالية وهو ما اعتبرته الجزائر تشجيع عن الانفصال ، وكان متحدنا باسم الخارجية الجزائرية
قد وصف خطاب القذافي « بالامر الخطير للغاية » .

زيارة القذافي لتبكتو واعلانه عن انطلاق عدد من المشاريع التنموية بتمويل ليبي
أهمها حفر قناة لايصال مياه نهر النيجر زاد من شعبيته ، خاصة وأنه ضرب على وتر حساس
بالنسبة للطوارق ، الا وهو الوحدة وحرية التنقل داخل الفضاء الطوارقي .

تأثير خطاب القذافي على العلاقات الليبية الجزائرية كان قويا ، فقد امتنعت الخارجية
الجزائرية عن استقبال مبعوث ليبي لشرح موقف ليبيا ، واضطر القذافي لبعث ابنه عمه مبعوثه
الخاص للاعتذار ، قبل أن تلتئم قمة بين وزيرى داخلية ليبيا والجزائر للاعلان عن اتفاقية
مشتركة لتبادل المعلومات حول الارهاب ، لكن كل هذه الاتصالات لم تكن لتغير الواقع في شمال
مالي حيث اصبح الفئصل الليبي في كيدال آنذاك الامر النهائى ، قبل أن تأتي الرياح بما لا تشتهي
سفن القنصل كوني ، تمرد يوليو 2006 والاستيلاء على مدينتي منكا وكيدال ، كان القذافي
أول من استنكر الهجوم وقال بأنه ليس في صالح الطوارق ، وهو عمل ضد مصلحة الصحراء
كلها ، فهم القذافي بأنه مطالب بغلق قنصليته بكيدال .

هل كان الهجوم ردا جزائريا على زيارة القذافي لتينبكتو وخطابه بها وإقامة فصلية بمدينة كيدال على الحدود الجزائرية-المالية ؟ من المستهدف ؟ ظن الرئيس المالي توماني توري الطامح لضمان ولاية جديدة بأن الحل في العاصمة الليبية ، طرابلس ، قام بزيارة لليبيا لدعوتها للتوسط متوعدا بمتابعة الهجوم بروح من المسؤولية وضبط النفس ، لكن المساعي الليبية لم تفلح ، فشلت مفاوضات « غاو » بين الطوارق والحكومة المالية بوساطة ليبية ، رغم تعهدات ليبيا بذخ أموال إضافية لتمويل مشاريع تنموية في المنطقة المهمشة .

الحل في الجزائر

كانت وساطة السفير الجزائري بمامكو غريب حاسمة ، تم التوصل الى اتفاقية سلام بين الحركة من أجل التغيير والحكومة المالية . أدارت الحكومة الجزائرية ممثلة في سفيرها في مالي المحادثات بعد طلب من الرئيس المالي توماني توري عقب فشل الوساطة الليبية ، أهدفنا « استتباب الامن في بلد جار مهدد بالانقسام » ، هذا كان تصريحا للرئيس الجزائري بعد توقيع الاتفاقية ، كانت الجزائر تتحكم في خيوط « اللعبة » أفشلت جهود ليبيا ، وأجبرتها على سحب قنصلها ، استأثرت بالقاتلين الطوارق وتحكمت في قرارهم بالتهديد أحيانا وبالوعد أحيانا أخرى ، لم يكن بإمكان الطوارق رفض توقيع الاتفاق ، لذلك رضخوا بأقل ثمن ، وعود بالتنمية ، إدماج من كانوا مدمجين قبل التمرد في الجيش المالي .

انتصرت الجزائر وفرضت إرادتها على المنطقة ، وكان من أولى ثمرات هذه المعاهدة توقيع اتفاقية بين شركة سنطراك الجزائرية والحكومة المالية للتقيب عن البترول في حوض

تودني ، وقبول الطوارق بتشكيل دوريات لتمشيط الصحراء بحثا عن المتطرفين الاسلاميين الجزائريين" يعنى الحرب نيابة عن الجزائر" ، دون أن ننسى نظرة العالم للجزائر كأهم فاعل في منطقة أصبحت تثير مخاوف العالم ، بالإضافة الى إبعاد التمرد عن جنوبها الذي تقطنه غالبية طوارقية تواقا الى الانعتاق من سلطة المركز في الجزائر ، والى التنمية ورفع التهميش .

تعود آخر مواجهات بين سكان الجنوب الجزائري الطوارق وقوات الدرك الى بداية شهر مارس 2007 ، حيث شهدت مدينة تمراس إحتجاجات السكان على خروقات حقوق الإنسان التي تمارسها السلطة يوميا ضد الطوارق ، من قبيل التهجير لأتفه الأسباب ، والسجن بتهم الإنفصال والتحريرض ضد السلطة المركزية .

معارضون للإتفاقية

قللت الحركة الطوارقية والتيار الحر وفعاليات طوارقية بليبيا والجزائر من إهمية الإتفاقية الموقعة بين التحالف من أجل التغيير الديمقراطي وحكومة مالي ، لكونها لا تستجيب لشروط الطوارق المتمثلة في منح أقاليم الشمال حكما ذاتيا لتدبير شؤونهم المحلية ، والتمثيل في الحكومة المركزية بما لا يقل عن 28 في المائة ، وفتح الحدود بين الفضاءات الطوارقية في مالي والجزائر والنيجر وليبيا ، والكشف عن مرتكبي جرائم الإبادة ضد الشعب الطوارقي خلال فترة التسعينيات ومحاكمتهم "انظر التقارير" ، وتطبيق بنود إتفاقية السلام الموقعة بين حركات الطوارقية والسلطة المالية سنة 1993 ، وفتح مطار تينبكتو .

وترى تلك الأطراف المعارضة لإتفاقية السلام بأن عدم وجود ضمانات

دولية لتطبيق الإتفاقية يجعلها كسابقاتها مجرد"حبر على ورق" سيحف بمجرد ما يتمكن الرئيس الحالي توماني توري من ضمان ولاية رئاسية ثانية كرئيس مدني ، والثالثة له ، فهو قائد الانقلاب ضد الرئيس السابق موسى تراوري وقائد حملة الإبادة ضد الطوارق في التسعينيات . "أنظر التقارير" وكانت الحكومة المالية ، قد طالبت دول شمال إفريقيا وخاصة موريتانيا بالتنسيق معها لمواجهة التمرد الطوارقي على إعتبار أن نشطاء سياسيين طوارق يعملون إنطلاقا من موريتانيا ، وفي هذا الإطار منعت الأخيرة الجناح السياسي للحركة الوطنية لتحرير أزواد من عقد مؤتمر للجناح السياسي للحركة . وقال مسؤول موريتاني رفيع المستوى "بأن موريتانيا لن تسمح بقيام نشاط ضد مالي إعتبارا لمقتضيات حسن الجوار" ، لكنها أعلنت عن ترحيبها بالنشطاء السياسيين للحركة كأبناء جلدة . القرار الموريتاني بعدم تسليم أي من معارضي الإتفاق لمالي ، جاء بعد توجيه المعارضين للطوارق رسائل الى سفراء الولايات المتحدة الأمريكية بعدد من عواصم "المغرب العربي" . ويبدو أن أمريكا نصحت السلطات الأمنية المغاربية بعدم تسليم أي من المعارضين خوفا من إعلانهم دعم المناوئين للمشروع الأمريكي بالمنطقة" أنظر رسائل في الملاحق" يرد موقعي الإتفاقية "حركة 23 من أجل التغيير" ، على إنتقادات المعارضين للإتفاق من الطوارق ، يكون الإتفاق مرحلي تفرضه الظروف الحالية على المستوى الإقليمي ، وعلى المستوى التنظيمي داخل الحركة الطوارقية وما يتطلبه ذلك من جمع الشمل وإعادة هيكلة الحركة خاصة على مستوى جناحها السياسي الملاحق من قبل الأجهزة المخابراتية ، بالإضافة الى إعادة النظر في علاقتها مع دول الجوار ، إستعدادا للمرحلة المقبلة ، التي يرى الموقعون بأن سقف الحكم الذاتي سيكون أقل مطلب يمكن الإتفاق عليه مع

حكومتي مالي والنيجر ولم لا الجزائر .

الطوارق في مواجهة الجماعات الإسلامية

شكلت مواجهات بين مقاتلين من الحركة الشعبية لتحرير أزواد و أفراد من الجماعة السلفية للدعوة والقتال الجزائرية ، على مقربة من مدينة كيدال شمال مالي ، بداية لمرحلة جديدة،المواجهة الأولى من نوعها أسفرت عن مقتل عشرة أعضاء من الجماعة الإسلامية المتطرفة التي أعلنت مؤخرا ولاءها للقاعدة ، واحتجاز أربعة أفراد ، تم تسليمهم إلى السلطات الجزائرية ، واحتجز مقاتلين من حركة الطوارق المناوئة للحكومة المركزية في مالي عتادا عسكريا ووسائل نقل كانت الجماعة السلفية تستعملها في تنقلاتها في الصحراء الكبرى . تزامنت هذه المواجهات مع انتهاء المهلة التي حددتها الحكومة الجزائرية للجماعات المسلحة لتسليم سلاحها والدخول في معاهدة السلم والمصالحة ، وكان الرئيس الجزائري قد هدد في خطاب له ، الجماعة السلفية و للدعوة والقتال بالملاحقة إلى حين القضاء عليها ،ونفى قيادي في حركة تحرير أزواد أن يكون هجوم مقاتليها على قواعد تدريب للجماعة السلفية ، جاء بالتنسيق مع الجزائر ، وقال بأن حركته عازمة على إخلاء المنطقة من الجماعة الإسلامية ، لان الجزائر ومالي تنسب أغلب العمليات الإجرامية إلى حركة الطوارقية المناوئة لهما ، لإيهايم العالم بأنها حركته إرهابية . ويعترف القيادي الطوارقي بوجود قواعد للإمداد والتمويل تابعة للجماعة السلفية للدعوة والقتال في شمال تينبكتو وغربها قرب الحدود الجزائرية ، لكنه ينفي احتضانهم من قبل السكان الطوارق .

كيف تناولت الصحف الخبر المواجهات بين الطوارق والجماعة السلفية للدعوة والقتال

الحياة اللندنية - 2006/10/01

"أفادت مصادر متطابقة أن مختار بلمختار القيادي البارز في «الجماعة السلفية للدعوة والقتال» ، كبرى الجماعات الإسلامية المسلحة الجزائرية ، قُتل مع اثنين من مساعديه خلال تبادل لإطلاق النار مع جماعات معارضة مسلحة تنشط في شمال مالي .

وأكد المقدم حسن فاغاغا ، القائد العسكري للمتمردين الطوارق (الجناح العسكري لتنظيم «حركة 23 ماي من أجل التغيير»)، أن «أمير» المنطقة التاسعة في «الجماعة السلفية» ، اي المنطقة الصحراوية جنوب البلاد ، والذي يعرف أيضاً باسم «خالد أبو العباس» ويكنى «الأعور» ، قُتل قبل أيام في مواجهات مع مقاتلي الطوارق ، عند منطقة حدودية في عمق أراضي مالي . وأوضح نائبه الرائد باموسى أن اثنين من كبار مساعدي «الأعور» قُتلا معه خلال المواجهات . ويعتبر بلمختار (34 عاماً) أحد أبرز قيادات «الجماعة السلفية» ، وهو كان منذ تأسيس التنظيم المسلح نهاية العام 1998 «حلقة الربط» الأساسية مع تنظيم «القاعدة» ، كما كان المصدر الأساسي للأسلحة والذخيرة التي كانت تحصل عليها الجماعة من شبكات تجارة السلاح التي تنشط في منطقة الساحل الصحراوي .

وبرز «الأعور» متعاطفاً مع «الجبهة الإسلامية للإنقاذ» المحظورة مطلع التسعينات ، وانخرط مبكراً في الجماعات الإسلامية المسلحة ، قبل أن يعقد صفقة مع شبكات تهريب

السلاح، بحكم نشأته في الصحراء الكبرى، تعهد بموجبها ضمان أمن المهربين وعدم تعرض الجماعات المسلحة لهم، في مقابل مبالغ مالية ومساعدات في الحصول على الذخائر والأسلحة.

وقال خبراء في الشأن الأمني إن رحيل «الأعور» يعتبر «ضربة موجعة» للتنظيم المسلح الذي يواجه حالياً متاعب كبيرة في الحصول على الأسلحة والذخيرة من جنوب الصحراء، نظراً إلى أن غالبية شبكات تهريب السلاح تواجه مضايقات مستمرة من أجهزة أمن دول الساحل الإفريقي، خصوصاً بعد فتح الولايات المتحدة مركزاً شمال مالي للتنسيق الأمني مع دول الجوار.

ورأت أوساط أمنية جزائرية أن مقتل بلمختار المطلوب دولياً يكتسب أهمية خاصة، لا سيما أنه جاء بعد أقل من أسبوع على إعلان انضمام «الجماعة السلفية» إلى «القاعدة». واعتبر ديبلوماسيون جزائريون مقتل «الأعور» على أيدي مسلحي المعارضة المالية، «هدية» إلى السلطات الجزائرية على الجهود التي بذلتها لوقف الحرب الأهلية التي اندلعت في مالي قبل شهر. ويؤشر استهداف المعارضة المالية أحد قيادات «الجماعة السلفية» إلى رغبة الطوارق في نفي الاتهامات الجزائرية لهم بالارتباط بجماعات إرهابية.

"كيف فسرت مالي المواجهات".

علمت "الوطن" من مصادر مطلعة في شمال مالي أن اشتباكات بالأسلحة الثقيلة وقعت بين الجماعة السلفية للدعوة والقتال الجزائرية ومقاتلين من الطوارق تابعين للحركة الوطنية

لتحرير "أزواد" المتمردة التي يقودها العقيد السابق في الجيش المالي حسن فكاكا .
وأشارت المصادر إلى أن الاشتباكات جاءت على خلفية توثيق حركة الطوارق علاقاتها مع الحكومة الجزائرية ، وهو كما اعتبرته الجماعة السلفية خطرا يتهدها في منطقة الصحراء التي تتخذ منها ملاجئ لها وتسميها "أرض العزة" .

وتقول مصادر حركة التمرد الطوارقية التي اتصلت بها "الوطن ، إنه خلال مطلع الأسبوع الحالي سمعت أصوات إطلاق النار بضواحي منطقة تفارغارين قرب معسكر حركة المقاومة الطوارقية ، حيث جرت اشتباكات لبضع ساعات أسفرت عن مقتل 14 من مقاتلي الجماعة السلفية الجزائرية ، بينما قتل 10 من المقاتلين الطوارق .

وتقول مصادر في حكومة مالي إن أسباب الاشتباك تعود لصراع بين عصابتين كبيرتين من المهربين ، إحداهما تحتمي بالجماعة السلفية ، والأخرى تحتمي بحركة التمرد الطوارقي .

وتتهم الجماعة الإسلامية الجزائرية الحركة الطوارقية بالخضوع للحكومة الجزائرية مقابل حذفها من قوائم الحركات الإرهابية المستهدفة بالاتفاقيات العربية والإفريقية والأمريكية لمكافحة الإرهاب ، حيث كانت مالي تروج في السابق لدى الغرب ودول الجوار بأن تحالفا بين الجماعات الإسلامية المسلحة والمقاتلين الطوارق ، قد جعل من الصحراء الكبرى شمال مالي أكبر معقل للإرهاب .

كيف يرى الطوارق أنفسهم وقضيتهم

الطوارق في حوار مع الأستاذ محمد أحمد شفيح :

الميزعنصري ضد الطوارق في مالي والنيجر حقيقة معروفة اللغة هي الشعب والشعب هو اللغة

تعريف:

الاستاذ محمد أحمد شفيح، طارقي من شمال النيجر عايش الاوضاع المأساوية للطوارق، وثوراتهم المتتالية على الحكومات إبان الاستقلال، وشارك كعضو منهم في عدة ملتقيات لبحث الحلول الكفيلة بإنهاء المسألة، وإحلال السلام في منطقة أزواغ.

من مواليد سنة 1940 بقرية أبلغ بولاية طاو شمال النيجر بدأ دراسته على الطريف التقليدية فدرس على يد مجموعة من العلماء الطوارق كتب الفقه، والقرآن، والنحو، قبل أن يبعث صحبه مجموعة من الطلبة بعد الاستقلال الى تونس حيث درس الثانوية، فحصل على دبلوم عالي في الدراسات الاسلامية من جامعة تونس، ثم انتقل الى جامعة السوربون لدراسة اللغة الفرنسية لمدة ثلاث سنوات، قبل أن يلتحق بالجامعة الجزائرية لتحضير دبلوم دراسات عليا في الحقوق، له عدة أبحاث ومؤلفات حول تاريخ العلاقات بين الشمال الافريقي

والصحراء الكبرى وغرب أفريقيا، وعن أهمية العوامل الثقافية والتربوية في بناء المجتمعات الاسلامية، شارك صحبه مجموعة من المثقفين الطوارق في الاحداث التي كانت تستهدف نظام الرئيس النيجري السابق حسين كونتشي فسجت وعذب، ومات عدد من اصدقائه في السجن قبل أن يلتجأ الى ليبيا، ثم عاد أخيرا بعد الاتفاقات السلمية الى النيجر وهو الآن مستشار لدى وزير التعليم العالي، وأستاذ بجامعة النيجر الاسلامية. أوجز مشكلة الطوارق في الحوار التالي:

أزواغ " الساحل" كل تماشق « الطوارق »

شفيح : اولا أشكركم على إتاحة الفرصة لي للحديث عن هذا الموضوع ، وأشكرك لعنايتك ونرجع الى الموضوع أقول بأن الطوارق لايسمون انفسهم بهذا الاسم ، فالطوارق في المنطقة التي أنا منها أي شمال النيجر يسمون أنفسهم ، كل تماق ، أو أماجن ، ويسمون انفسهم بنفس الاسم مع تغيير طفيف في منطقة شمال مالي فيقولون كل تماشق أو أماشغن « وفي الهكار كل تماق وإذا فالاسم ينتسب الى كلمة تماققت التي نجدها في التاريخ القديم التي تنسب البربر الى جدهم أمازيغ ، وهذه الصفة يصححها اتفاق هذه الشعوب على هذا الاسم سواء تماشق أو تماققت أو تمازيغت ، أو تماهقت ، بالنسبة لاصل هذا الشعب الذي يسمى في المصادر العربية والفرنسية الحديثة « الطوارق » والذي يسمى نفسه كل تماشق فهو ينسب نفسه الى تمازيغت كما يسمى في الشمال الافريقي ، والذي نعرف أن كل مناطق الصحراء أو جنوب

الصحراء في المنطقة التي يسميها المؤرخون المعاصرون منطقة الساحل الافريقي هذه المنطقة يسكنها الطوارق منذ قرون لايعرف أولها الا الله كما قال العلامة ابن خلدون رحمه الله ، والمنطقة التي توجد جنوب الصحراء Sahel يسميها الطوارق بأسماء متقاربة ففي النيجر تسمى « أزواغ » وبنفس الاسم يسميها طوارق مالي « ازواد » وكلمة ازواد هذه وردت في التواريخ القديمة ، ويقصد الطوارق بكلمة « أزواغ » السهول لان أزواغ في لغتهم هو السهل ، ولأن المنطقة منطقة سهول وهي الممتدة من البحر الاحمر الى المحيط الاطلسي ، والمنطقة التي يسكنها الطوارق يطلق عليها أزواغ او ازواد والمودى واحد ، والذي اريد قوله هو أن الطوارق في هذه المناطق ليس كما يقول بعض المؤرخين المحدثين الذين يريدون ان يقلبوا تاريخ المنطقة ، ليسوا أناس غربيين عن هذه المنطقة فهم في هذه المنطقة منذ عصور قديمة ومن يرجع الى تاريخ ابن خلدون وغيره من المؤرخين يجد أنهم تحدثوا عن الطوارق في هذه المنطقة أي الصحراء وجنوب الصحراء الساحل فليسوا دخلاء كما يقول بعض المؤرخين الذين يقولون بأنهم اتوا الى هاته المنطقة في القرن السابع عشر أو الثامن عشر أو الخامس عشر فهم قديمين في هذه المنطقة وهي وطنهم منذ القديم ، وأيضا بالنسبة للاصول فأنا ادركت كثيرا من أجدادي وسألتهم عن اصل الطوارق في رأيهم فقالوا لي بأنهم ادركوا كتب اجدادهم التي تقول بأن الطوارق من صنهاجة وهي كلمة معروفة عندهم بالنسبة لصنهاجة فإن التواريخ القديمة تؤكد نفس الشيء ، ويبقى المشكل التي اختلف فيه المؤرخون القدماء هل صنهاجة من البربر أو من اليمن واعتقد بأن الخلاف في هذه المسألة ليس له فائدة كبيرة ، المهم ان هذا الشعب الذي يسمى طوارق في هذه المنطقة منذ القديم يتكلم هذه اللغة الطارقية التي هي فرع من الأمازيغية العامة ليست لغة

خاصة بل فرع لاننا حققنا هذا من كل الابحاث التي قمنا بها بأن اللغة الأمازيغية هي لغة واحدة ولها عدة فروع لهجات منها الطارقية بطبيعة الحال اذ نجد الاسماء الاساسية مثل اعضاء الجسم والكلمات الاساسية هي واحدة في تمازيغت العامة والاختلاف في الكلمات الفرعية وهذا شيء طبيعي في لغة يتكلم بها شعب يغطي مساحة كبيرة من القارة الافريقية وفروعه اصبحت ليست لها علاقة فيما بينها ، من هنا جاء اختلاف الكلمات واللهجات منذ عقود ، لكن اللغة واحدة وأصولها واحدة والنحو والتركيب هي واحدة لم تتغير بين هذه اللهجات كلها فاللغة الطارقية اذا جزء من اللغة الأمازيغية العامة أو كما يسميها المؤرخون « اللغة البربرية » .

الطوارق جزء من الشعب المسمى بالبربر

هذا شيء لاشك فيه فالطوارق وهذا ما أيده ابن خلدون نفسه عندما ذكر من قال بأنهم من اليمن أو من قال بأنهم من فلسطين ، ولكن في النهاية قال بأن الاصل والموطن والتاريخ يشهد بأنهم جزء من الشعب المسمى بالبربر وهذا شيء اعتقد بأنه هو الصحيح لان هذا هو ما يشهد به الواقع ، أما كونهم من اليمن فيمكن أن يكون لها اصل صحيح لان كل شعوب الدنيا ليست من أصل واحد ، فنجد مثلا في فرنسا أن الفرنسيين يقولون بأنهم جاءوا من منطقة كذا ، وبعضهم من منطقة كذا وهكذا ، وكل هذا اختلط وكون الشعب الفرنسي ، فهذا الشعب الطارقي الأمازيغي يمكن ان تكون له أصول جاءت من مناطق اخرى ولكن اندمجت فأصبحت تكون شعبا واحدا هذا الشعب هو شعب أمازيغ العام ومنه الطوارق ، ومن الدلائل على ذلك

ان الطوارق بحكم جوارهم بافريقيا السوداء اختلطوا بشعوب المنطقة فمنهم الطوارق البيض ومنهم الطوارق السود وهذا كله يبرهن على انهم ليسوا معزولين فيمكن ان تكون لهم فروع جاءت من منطقة اخرى ، لكن هذا الشعب كله اندمج وأصبح يكون شعبا واحدا .

اللغة هي الشعب والشعب هو اللغة

هذا السؤال مهم جدا لاننا نعرف ان اللغة هي الشعب والشعب هو اللغة ، وإذا نظرنا الى الطارقية "تماشقت" بصرف النظر عن اللغة البربرية العامة ، حتى اذا نظرنا الى هذا الفرع نفسه لوجدناه يكون لغة لوحده ، ماهي مقومات اللغة ؟ هي انه يوجد شعب يتحدث بها ، وهذا موجود فيها ، ان تكون معبرة عن كل حياة هذا الشعب وهذا أيضا موجود ، ان تكون لها قواعد نحوية ، ومميزات وهذا كله موجود فيها ، فلماذا نسميها لهجة هي لغة بأتم معنى الكلمة وهي فرع من هذه اللغة الأمازيغية القديمة كما نجد في اللغة العربية نفسها كما درسنا في التاريخ العربي هي لغة واحد لكن نجد في كتب الحديث ، والقرآن يقول لك بأن هذه الكلمة بلغة تميم ، وهذه بلغة قريش الخ . . . أي أن في اللغة الواحدة تكون فروع ولايمنع ذلك أن اللغة كاملة مستقلة بنفسها فالطارقية لغة بأتم معنى الكلمة .

الاسلام ليس ضد أن يحتفظ الانسان بمكوناته اللغوية وخصوصياته

طبعا هناك الكثير من الكتاب الفرنسيين الذين يكتبون عن الطوارق فيصفونهم وصفا

شعريا رومنطقيا ، رجل الصحراء المنزحل عن أناس والمتغني بالصحراء وغيرها من الاوصاف ، لكن هذا الوصف في الحقيقة غير صحيح فالطوارق في القديم والى اليوم لم يكونوا معزولين عن غيرهم فالطوارق في الشمال كانوا متصلين بكل شعوب الشمال والطارقي في الجنوب كانوا ايضا دائما متصلين بكل شعوب الجنوب السنغاي - الهوسا - التوبو لم يكونوا معزولين فكرة الاعتزال هي فكرة رومنطقية يصف بها بعض الكتاب هذا الشعب ، وفي الحقيقة هؤلاء الذين يكتبون هذا نستطيع أن نقول بأنهم إنما كتبوا ذلك لترويج كتبهم لتباع ، أما بالنسبة لاعتزازهم بلغتهم فهذا لا أظن بأنه يخص الطوارق عن غيرهم ، فكل شعوب الدنيا تعتز بتاريخها ولغتها وكيانها وهذا شيء طبيعي عن أي إنسان كيفما كان ، نجده عند الفرنسيين والعرب أن كل شعب يعتز بكيانه واعتقد بأن الاسلام نفسه ليس ضد أن يحتفظ الانسان بمكوناته اللغوية وخصوصياته والله يقول بأن من آياته التي خلقها اختلاف السننتا والوانا ، فاعتزاز الانسان بلغته لايجعل منه إنسانا متعصبا ومتطرفا لان هذا التطرف هو الذي يسمى حتى في الاسلام بالجاهلية ، أما اعتزاز الإنسان بكيانه ولغته هو شيء طبيعي .

الهوية الطارقية لم تعد مهددة

في الحقيقة في أوساط الستينات أظن انه في 64 قرأت مقالة لكاتب فرنسي في جريدة كان عنوانه « شعب محكوم عليه بالاعدام في سنة 2000 ويقول فيه بأن الطوارق كانوا في الصحراء ولكن الأوضاع تغيرت الان وتم تقسيمهم واصبحت حالتهم الاقتصادية

والاجتماعية والفكرية متدهورة جدا ولذلك يقول الكاتب بأنه من المحقق بأنهم في سنة 2000 سيكونوا قد انقرضوا ولم يعد لهم وجود وبطبيعة الحال كان هناك حادث خطير جدا كاد أن يصدق ما قاله هذا الكاتب وهو احداث الجفاف في الساحل الافريقي سنوات 1973 وما بعدها هذه الاحداث التي عصفت بالطوارق في هذه المناطق كانوا من أغنى الشعوب بما عندهم من المواشي الكثيرة وكانوا يستغنون بها عن الحياة العصرية حتى جاء هذا الجفاف فقضى على 95٪ من هذه المواشي فأصبح افراد هذا الشعب عائلات وأطفال في حالة خطيرة مات منهم الالاف وكاد ما قاله هذا الفرنسي أن يتحقق ولكن بفضل الله رغم أن الطوارق لم يكونوا يعرفون حياة المدن كثيرا حاول التعرف عليها والاستقرار بها سواء كان ذلك في افريقيا الغربية في نيامي وكاو ومناطق نيجريا ، أو في الشمال الافريقي ، خاصة في الجماهيرية الليبية التي قدمت الكثير لهذا الشعب في السنوات الحرجة ويجب أن نسجل هذا للشعب الليبي لانهم في تلك السنوات قرروا أن يفتحوا بلادهم للطوارق رغم عدم توفرهم على الاوراق الرسمية . وبفضل هذه التجربة التي قاموا بها للاستقرار في مدن مالي والنيجر أو نيجيريا أو ساحل العاج او الجماهيرية الليبية ، اعتادوا على الحياة الجديدة والمهن الجديدة للعمل ، وتكونت منهم مجموعة من المثقفين والتقنيين تخبئوا بذلك تلك الكارثة التي تنبأ بها ذلك الكتاب الفرنسي ، ونجد الان ان هذا الشعب اصبح في مأمن عن هذه الكارثة ، وأصبحت له آمال بأن يحافظ على لغته وكيانه وتاريخه رغم هذا التفرق ، ففي الدولتين اللتان يوجد بهما اغلبية هذا الشعب مالي والنيجر قد تم الاعتراف بعد عقود وتضحيات بأفراد هذا الشعب مواطنين كاملي الحقوق ولهم الحق في التعليم وفي كل ما يوجد في البلاد رغم ان هذه الاشياء لم يكن معترفا بها في السابق

وهذا يبشرنا بأن الشعب سيحافظ على كيانه ولغته ، في الدولتين السابقتين إذ أصبحت الاذاعة والتلفزيون تخصص وقتا لث برامج بلغتهم ونشر الاخبار ايضا .

المرابطين أجداد الطوارق الحاليين

تاريخ الطوارق بالاسلام تاريخ طويل جدا ، فالاسلام دخل الى افريقيا عن طريق مصر ، عندما فتح المسلمون مصر بقيادة عمرو بن العاص ووجه جزء من جيشه الى الجنوب لفتح بلاد النوبة ، وجزء منه الى منطقة برقه في ليبيا الان وفتحوا هذه المنطقة وتوغلوا في شمال افريقيا وتكونت القيروان الخ ، وما يهمنا من هذا انه بمجرد ما دخل الاسلام الى شمال افريقيا توغل فورا الى الصحراء والى المناطق التي يسكنها الطوارق نظرا للعلاقات القديمة المتواصلة بين شمال افريقيا وبين الصحراء وجنوب الصحراء إذا فالإسلام وصل الى هذه المنطقة الطارقية منذ القرن الاول الهجري ، ونجد اشارات كثيرة لهذا في كتب التاريخ فنجد ابن عذارى في كتابه يقول ان عقبه بن نافع لما فتح منطقة جنوب سوس الاقصى توغل منها الى أن دخل الصحراء ففتح كورة من كور بلاد السودان ، واعتقد انه قال هذا عن حافظ بن عبد البر ، والمنطقة التي يقول بأنه توغل فيها كورة من كور بلاد السودان هي المناطق التي يسكنها الطوارق الان ، وزكى ابن خلدون ايضا أنه قبل أن تتكون الدولة الاسلامية للمرابطين كان الاسلام قد انتشر منذ اكثر من مائتي سنة وتكونت فيها ممالك اسلامية للطوارق ذكر أسماء مؤسسيها قبل المرابطين ، والمرابطين عندما تكونت دولتهم وهم بلاشك من الطوارق ومن

أجداد الطوارق الحاليين ، كانوا قد وجدوا الاسلام في منطقتهم ولكن حسب ما يقول التاريخ بأن البدع كانت قد فشت في المنطقة ، أو أن جزء من هذا الشعب لم يدخل الى الاسلام بعد ولكن ليس كله . فالمرابطون نشروا الاسلام في فروع الطوارق التي لم ينتشر فيها الاسلام ، وقاموا بالمجهود الاول في نشر الإسلام في افريقيا السوداء في المنطقة التي كانت تسمى في ذلك الوقت بمملكة غانا بغرب افريقيا ، وبعد ذلك وجهوا انظارهم الى منطقة الشمال الافريقي فخطوا بالمغرب وبنوا مراكش وقاموا بتلك الملحمة التاريخية التي وصلت الى بلاد الاندلس ، فدور الطوارق في نشر الاسلام قديم وقديم جدا قبل المرابطين ثم على عهد المرابطين ، ثم أن الملحمة التي قام بها المرابطين لم تنتهي في المنطقة التي انطلقوا منها التي هي جزء من موريتانيا الحالية ومالي وشمال النيجر ، فقد بقيت في هذه المنطقة فأصبحت مهدا للحضارة الاسلامية وتواصلت هذه الحضارة الى يومنا هذا ، فنجد مثلا فيها مناطق علمية لاتقل أن اهلها كانوا في معظمهم بدو ولم يكتب تاريخهم ولو كتب لكشف عن وجود منطقة حضارية اسلامية كبرى ، ففي مالي مثلا الان نجد قبائل كل انتصر ، وكل أسوق ونجد في النيجر قبائل ايت تلال وكل اغلال هذه القبائل لها علماء في الفقه والنحو والتفسير لاتقل اهمية عن ما وجدناه في موريتانيا وسكتو ، والشمال الافريقي ، ولكن تاريخها لم يكن مكتوبا لان سكان المنطقة في أغلبهم بدو لايهتمون بكتابة التاريخ وقد ذكر ذلك الامام محمد بن عثمان افديو في كتابه « إنفاق الميسور في تاريخ بلاد تكرر » عندما تحدث عن هذه المناطق وقال ان فيها علماء وتاريخ عظيم ولكن مشكلة اهلها انهم لا يكتبون تاريخهم .

فرنسا مزقت شعب الطوارق

نعم ، وقد اشرت الى نقطة مهمة جدا وهي دور الطوارق في محاربة الاستعمار الفرنسي ، فنحن نعرف بأن الاستعمار كان منذ وقت طويل يحاول الدخول الى هذه المنطقة من الغرب الافريقي فكان الطوارق في منطقة الهكار او تينكتو أو اكادز Agadaz كانوا درعا لهذه المنطقة وضدا على الاستعمار وعندما قرر الاستعمار ان يستعمل كل قواه ليستولي على هذه المناطق وجد مقاومة شديدة من قبل الطوارق ، فنحن نعرف تلك المعارك التي وقعت بين الطوارق والفرنسيين في منطقة تينكتو قبيل نهاية القرن التاسع عشر على عهد القائد الطوارقي الكبير « انكونا » حيث أنهم بعثوا بقائد فرنسي كبير وهو الجنيرال الذي اصبح فيما بعد ماريشال ، الجنيرال جوفر بعد ما انتهى من المعارك في تينكتو رجع الى فرنسا لقيادة المعارك في الحرب العالمية الاولى ، حيث حصل بعدها على رتبة مارشال وهو معروف في تاريخ فرنسا ، وفي منطقة كاو مثلا احتك الاستعمار بالطوارق فلم يستسلموا له ونفس الشيء في منطقة طارقية تسمى « طانبوت » وكادز ثم في أثناء الحرب العالمية الاولى قبيل انتهاء الحرب العالمية وبالضبط سنة 1916. قام أحد القادة الطوارق المعروفين في منطقة شمال مالي الحالية وهو المرحوم فهرون الانصار قام بثورة على الفرنسيين وكتب رسائل الى امراء الطوارق يقول فيها أنه اتته رسائل ان المسلمين في جميع نواحي الارض قد قرروا محاربة من يليهم من الكفار (وهذه الرسائل لم نعرف الى الان من أين جاءت) ولذلك هو يريد محاربة من يليه من الكفار ، وكتب هذه الرسائل ، وقد رأيت احدى هذه الرسائل في بعض المصادر الفرنسية

رسالة كتبها الى موسى اغ مسترا الذي هو سلطان هكار في ذلك الوقت ، وفي نفس الزمن قامت ثورة اخرى منسقة معها في منطقة بوركينا الحالية وقادها العالم الطارقي المشهور محمد احمد اغ الجنيت ، بالموازاة معها قامت ثورة ضد فرنسا في سنوات 1916 - 1917 - 1918 ورأيت كاتباً فرنسياً معاصر النفس الفترة يقول ان فرنسا كانت تتساءل ماذا يريد هذا الشعب ؟ الذين يحاربوننا في كل مكان ، والمهم ان فرنسا قضت على هذه الثورات لان الاسلحة لم تكن متوازية هذا يحارب بالسيف وهذا بالبنادق والاسلحة الثقيلة ولذلك قررت فرنسا ان تحطم هذا الشعب وتفرقه ولذلك قسمته في كل مكان تعمدت فرنسا بأنه لن يكون هناك مكان يحكمه الطوارق لابد أن يكونوا في كل مكان تابعين لانا لآخرين وهذا ما خلق الوضعية الحال هناك احداث أيام الاستقلالات أيدت هذا الواقع فهناك المرحوم محمد علي الانصاري الذي قام قبل الاستقلالات بوقت طويل ينادي بحق هذا الشعب في أن تكون له شخصيته واراد من فرنسا ان تعترف بهذا ، وفرنسا لاتريد أن تعترف بذلك وضايقته فرنسا الى حد أنه هاجر من بلده تينبكتو ولجأ الى الشرق للدفاع عن حقوق هذا الشعب ، وهناك الكثير من أمراء الطوارق الذين نادوا بمثل ذلك فكان جزاءهم معروف ، فكانت مطالبهم بدلا من أن تلبى ، سلموا لاعداءهم ، والمهم من هذا أن فرنسا هي من مزقت هذا الشعب لمعرفتها بتاريخه القديم لان فرنسا دولة تنظر الى التاريخ القديم للشعوب حتى تاريخ المرابطين ، ثم كفاهم ضدها ، وعملت كل ما عملت من تفريق وتمزيق هذا الشعب لكن الاحداث الاخيرة ولله الحمد برهنت عن أن الشعب بقي على قيد الحياة وله أمل في المستقبل .

لماذا يثور الطوارق ؟

المشكلة في الوقت الحالي ان الطوارق ما جاء وقت الاستقلالات الافريقية الحديثة كانت لهم مواقف في الظاهر مختلفة ولكن في الواقع متفقة هناك مثلا بعض الطوارق في منطقة مالي قاموا بثورة مباشرة بعد الاستقلال للمطالبة بحقوقهم في أن يكون لهم كيانهم الخاص وهي الثورة التي قامت خاصة في منطقة كيدال سنة 62 - 63 حيث يعيش افوغاس ، وهناك الذين لم يقوموا بهذه الثورة في المناطق الاخرى في مالي والنيجر لكن قبل ان يتم الاستقلال فإن امراء الطوارق في هذه المناطق اكدوا على السلطات الجديدة أنهم لا يمكن ان يتعاملوا معها الا بشرط ان تحترم حقوقهم وكيانهم في اطار الدول الوطنية الحديثة ، أنا أتذكر هذا شخصا لانني أنا بنفسني شاركت في صياغة هذه الشروط بالنسبة للطوارق في منطقة النيجر فقد ظنوا بأن الاستعمار سيخرج من بلادنا وبما أنهم جميعا مسلمون فيمكن لهم التعايش سويا وتكوين دولة وطنية ، وعلى هذا الاساس تم اتفاهم على أنهم سيشاركون في الدولة الحديثة ، وفي الحقيقة هذه الوعود التي وعدوا بها لم يتم احترامها وهناك شيء مؤسف ان كثيرا من الناس يقولون بأن الطوارق هم الذين لا يريدون ان يعيشوا مع الناس ، ويريدون الانعزال وهذا غير صحيح ، فالطوارق في هذه الايام وأنا كنت شاهد عيان اظهروا أنهم يستطيعون ان يتعايشوا مع الشعوب الاخرى ، بحكم الجوار منذ القديم وهناك بعض الشخصيات الفرنسية ، لا أقول الحكومة الفرنسية التي كانت تعارض هذه الوضعية التي وقع فيها الطوارق ، وكانوا ينتقدون حكومتهم لانها اضاعت هذا الشعب ، وهؤلاء كانوا قد طلبوا للاوضاع السياسية وكونهم يعتبرون انفسهم

مسلمين، وأن الاسلام جامع فإنهم لم يأخذوا بعين الاعتبار هذه الايحاءات، ولذلك قبلوا الدخول في هذه الدول لانهم اعتقدوا بأن حقوقهم ستحترم لكنها لم تحترم وهم ليسوا السبب في ذلك كما يقال بأنهم يظهرون الاستعلاء ولا يريدون التعايش مع غيرهم هذا غير صحيح الواقع هو أن الجانب الاخر هو الذي لم يحترم الطوارق واعتبرهم اناس اجانب جاءوا من شمال افريقيا غزاة هؤلاء بيض أتوا الى بلادنا وهذه هي بلادهم، شمال افريقيا صحيح أن لهم معها علاقات عرقية قديمة ولكن لا يعني أنهم جاءوا من شمال افريقي فالمشكلة جاءت من هنا والثورات التي قام بها الطوارق سببها هو عدم الاعتراف بهم، وإنكار المواطنة لهذا الشعب أنا شخصيا أتذكر ان هناك زعيم كبير من زعماء السياسة في النيجر اسمه جيبوبكري توفي قبل سنوات كان يكتب صراحة وأنا قرأت هذا في الصحف بأن هؤلاء اجانب جاءوا في القرن التاسع عشر، نفس الفكرة تبنتها حركة « غنداكوى » أهل الارض في مالي، وهذا شيء غير معقول، وهذا ما جعل الطوارق يشورون للمطالبة بحقوقهم، طبعاً نحن الان في عصر يجب فيه أن ينسجم الناس مع الاوضاع الحالية فالطوارق الان سواء في مالي والنيجر عندما حاربوا هم أكدوا أنهم لا يريدون تمزيق البلاد والقيام بعنصرية وأما يريدون ان يعترف بهم كمواطنين لهم نفس الحقوق التي للمواطنين الاخرين، هذا ما أكدوه، وأكدوا انهم لا يريدون التفرقة بين الابيض والاسود فالمسألة إذا مسألة حقوق واعتراف بالحقوق الثقافية والاقتصادية والاجتماعية لهذا الشعب، واعتقد أن الاوضاع الجديدة في مالي والنيجر وان كانت الامور لاتسير كما ينبغي الا أنه وقع اعتراف بحقوق هذا الشعب واعتقد بأن الامور ستسير من حسن الى أحسن.

الطوارق والرق

هذا موضوع مهم جدا وهو مثار حاليا ، ومسألة الرق عند الطوارق ، ولكن ماكنت أقوله وقتله أخيرا لاعضاء هذه الجمعية التي تحدثت عنها «تمضريت» والتي تنادي بتحرير العبيد ، وهم يعترفون بذلك اولاهو أن الرق في هذه المناطق ليس شيئا يخص الطوارق فعند الهوسا هناك الاحرار وهناك العبيد الذي يسمونهم باوا ومعناه عبد أو رقيق الهوسا والفلاتة هم ايضا منهم الاحرار والعبيد نفس الشيء بالنسبة لزرما والتوبو كلهم عندهم عبيد ، ومسألة الاستعباد شاملة وليس الطوارق وحدهم الذين استعملوا العبيد ، كل الشعوب استعملت العبيد ، وبقي هذا حتى اليوم ، فترى بعض الشعوب تقول لك بأن هذا لايمكن ان يتزوج هذه لان هذا اصله عبد ، إذا الطوارق ، فالطوارق كانوا يستعملون الرقيق في قضاء مصالحهم ولكن لم يكن عندهم مستعملا كحركة تجارية متمثلة في جمع العبيد ونقلهم من منطقة الى اخرى هذا لم يكن شأن الطوارق بالعكس فإنه في مناطق افريقيا السوداء نفسها هي التي مارست هذا النوع من الاستعباد فالعبيد الذي نجدهم الان في امريكا ، عندما كان الاوربيون يجمعونهم كانوا يستعينون بسلاطين وملوك تلك المناطق فكانوا يجمعون لهم اخوانهم مقابل أثمان تافهة ، لينقلوا هؤلاء العبيد الى امريكا وهذا يشمل كل الممالك الواقعة على المحيط الاطلسي آنذاك والطوارق لم يقوموا ، بهذا العمل أبدا لم يكن من شأنهم جمع العبيد لبيعهم الى شمال افريقيا او اوربا هذا في القديم وفي الحديث فإن الرق بحمد الله قد تم الغاءه حتى في مناطق الطوارق مندا يقرب من مائة سنة ، صحيح بقية بعض رواسب الرق بعد ذلك ولكنه الان انتهى واتذكر وأنا كنت

عضوا في البرلمان وجاء اعضاء هذه الجمعية تمضيت ، الى رئيس البرلمان ليناقشوه في هذه المسألة وقالوا له بأنه لا بد من القضاء على رواسب الرق ، ورئيس البرلمان لاعلاقة له بالطوارق فهو من الهوسا ومعه مجموعة اخرى من البرلمانيين هم ايضا من الهوسا فقال لهم اسمعوا نحن على علم بما يجري في هذا البلد النيجر ، ليس هناك رق كان هناك اناس اصلهم عبيد ولكن لم يعد هناك رق ، فكيف تقولون لنا حرروا العبيد ، وقال لهم رئيس البرلمان انا نفسي من هذه المنطقة (أي الشمال) واعرف ما يجري في المنطقة ، وإذا كان هناك من يدعي بأن له رقيق فما عليكم الا اعلام السلطات بأمره ، بالنسبة للطوارق كان هناك عبيد كما هو شأن المناطق الاخرى ولكن الان لم يعد هناك استعباد ، والمشكلة التي يعاني منها اعضاء هذه الجمعية هو أن الطوارق في القديم كانوا في الاغلب لا اقول الكل يحسنون الى عبيدهم ويعتبرونهم كإخوانهم ، ولذلك فالناس الذين كانوا عبيد اصبحوا يرفضون الانفصال عن سادتهم القداماء ، وكان اعضاء الجمعية يقولون لهم لماذا تبقون مع هؤلاء الذين استعبدوكم ؟ هذه المشكلة النفسية التي تجعل هؤلاء العبيد القداماء ملتصقين بمن استعبدوهم واحسنوا اليهم هي ما يحرص هذه الجمعية ، ثم هناك مسألة اخرى اريد أن اشير اليها بما أن الطوارق هم من اللون الابيض غالبا والرقيق من اللون الاسود اصبح هناك تركيز على الوضعية القديمة بالنسبة لهم ولكن الشعوب الاخرى مثل الهوسا والزرما والذين كان لهم عبيد بما أن اللون نفس اللون كلهم سود ورغم أن بعضهم يستعبد بعض فإن هذا هو الذي جعل الانظار تلتفت الى الطوارق والرق عندهم ، لكن الرق موجود حتى عند الشعوب الاخرى لكن يلاحظ عند الطوارق اكثر .

الميز العنصري ضد الطوارق مالي والنيجر حقيقة معروفة

التمييز العنصري ضد الطوارق في مالي والنيجر حقيقة معروفة ويعلمه كل من يعرف هذه الدول أو يزورها خاصة الاوربيين الذين كتبوا الكثير عن هذا الموضوع ، وهذا واقع فإذا رجعنا الى عهد الرئيس المالي السابق موديبوكيا نستطيع أن نلاحظ هذا بسهولة ، وإذا عدنا في النيجر الى عهد الرئيس النيجري السابق حسين كونشي الذي هو أكبر العنصرين ضد الطوارق ، فقد مارس العنف ضد حتى طوارق مالي الذين لجؤوا الى النيجر ، فهذا شيء لاشك فيه وليس افتراء من الطوارق فهو حقيقة ثابتة ولكن الحمد لله ان الاوضاع بعد الاحداث التي وقعت بدأت تتحسن وأصبحت الحكومات نفسها تقوم بمجهود كبير للقضاء على هذه العقلية وإن كانت مازالت موجودة خاصة بين قادة الجيش ولكن الامور تحسنت يجب الاعتراف بذلك .

علاقة الطوارق بالقبائل الامازيغية مسألة أمن تهدد البلاد

فيما يخص مالي ليس عند معرفة كاملة بما يجري ، أعرف بصفة عامة أن هناك هذه المعاهدات وأن هناك تحسن ولكن التفاصيل لا اعرف عنها شيئاً ، وإنما فيما يخص النيجر التي اعيش فيها وهنا يجب أن اقول أن هناك فعلا تحسن لان هناك مجموعات كبيرة من « اشومار » التحقت بالجيش والشرطة والجمارك ، هناك طلبة كثيرين طوارق وجدوا أماكن في الجامعات والمدارس الثانوية وغير ذلك من وظائف الدولة ، لانقول بأن الامور على ما يرام لكن هناك تحسن كبير وهناك مجهود كبير من الدولة يرمي الى رفع الحالة القديمة المتمثلة في الميز العنصري

وهناك مجهود من الدولة في هذا المجال ، هناك نقطة أريد ان اشير اليها وهي من المسائل التي فجرت المشكل في المنطقة وهي ان الحكومات القديمة في هذه المناطق كانت لاتعترف بالعلاقات بين مناطق الطوارق وبين الشمال الافريقي ، وخاصة عندنا في النيجر التي اعرف وضعيتها كثيرا كانت الحكومات السابقة في النيجر وخاصة على عهد حسين كونشي ترفض تماما ان يكون هناك اي علاقات للطوارق بشمال افريقيا في المغرب الاقصى وليبيا والجزائر يعتبرون هذا أمرا يهدد أمن البلاد مجرد الحديث عن تلك العلاقات يعتبر جريمة ، بينما نجد أن علاقات سكان النيجر الاخرين بشعوب افريقيا شيء طبيعي وعادي فنجد مثلا في جنوب النيجر علاقات قبائل الهوسا بنظيرتها في نيجيريا شيء طبيعي لايثير أية مشكلة وعلاقات سنغاي تلبري بسنغاي مالي طبيعي لايثير أية مشكلة والعلاقات مع بنين طبيعية لاتثير أية مشاكل ولكن اذا تعلق الامر بعلاقات الطوارق بالقبائل الامازيغية في ليبيا والجزائر والمغرب هنا المسألة مسألة أمن تهدد البلاد وهذه من الاسباب التي كانت وراء ثورات الطوارق لان علاقتهم مع شعب هذه المنطقة شمال افريقيا قديمة عرقيا ، ثقافيا وحضاريا وتجاريا وليس من المعقول حرمانهم من هذه العلاقات بينما يجدون مواطنيهم الاخرين لهم علاقات مع البلاد التي كانوا مرتبطين بها قديما ما اثار ثائرتهم وهذه من الامور التي وقع الاتفاق على رفضها في الاتفاقات الموقعة مع النيجر اخيرا ، وفي هذه النقطة بالذات لم تعد ممنوعة ، بينما في السابق كان مجرد سفر الطارقي الى ليبيا او الجزائر يحكم عليه بالسجن ، ولكن الان أصبح الامر عاديا .

مشاكل الطوارق في الجزائر وليبيا

على كل حال للطوارق في ليبيا والجزائر مشاكلهم وبما أنني لم أعيشهم لذا لا أستطيع التحدث عنها وان كنت على علم بأن لها طبيعة ثقافية واقتصادية، أما مشاكل الطوارق مالي والنيجر فقد عايشتها، وهناك بلد اخر فيه جزء من الطوارق وهو بوركينافاسو ويجب الاعتراف وتسجيل ان هؤلاء الطوارق حسبما نعرف لم يعرفوا الضغوط التي عاشها الطوارق في مالي والنيجر، كانوا دائما لا يشعرون لهذه الضغوط لذلك لم تكن هناك مشاكل بينهم وبين السلطات في بلادهم في هذا المعنى، انا اتذكر أنه كان في النيجر يمنع منعاً باتاً أن تعطي شهادة ميلاد او بطاقة هوية لاي طارقي في النيجر، إذا اردت استخراج شهادة ميلاد يرفض طلبك فما بالك بأن يطالب الطارقي بجواز سفر خاصة على عهد كوتشي يحكم عليه بالسجن في الحال لان ذلك يعني انه يريد الخروج الى الخارج وفي نفس الوقت وجدت ان الطوارق في بوركينافاسو كانوا يحصلون على هذه الوثائق مثلهم مثل المواطنين الاخرين وكنا نحسدهم على ذلك بل إن بعض طوارق النيجر لجؤوا الى بوركينافاسو ليستخرجوا هذه الوثائق. بالنسبة للعلاقات بين المجموعات الطوارقية فانا لا ارى فيها ما يلفت النظر فالطوارق في الجزائر وليبيا مواطنون في بلدانهم، وبالنسبة لطوارق مالي والنيجر فإنهم عندما يذهبون الى تامنغست أو جانت او اوباري يتصلون باخوانهم وليس هناك أي مشاكل وليس هناك من يمنعهم من القيام بذلك خاصة كما اسلفت بعد الاتفاقيات الاخيرة.

كيف ترى المستقبل ؟

اعتقد بأن بالنسبة للطوارق في المناطق التي يوجدون فيها وجودا قويا وهي النيجر ومالي اعتقد أنه سيكون لهم مستقبل فهذه المناطق لان هناك تيارا جديدا اصبح يظهر حتى بين الاخوة الذين كانوا ضدنا في تلك المناطق اي السود اصبحوا الان يعترفون بأن هؤلاء الناس شيء واقعي لا بد منه وأنه لا يمكن ان يكون هناك استقرار في هذه المناطق مالم يحظوا فيها بحقوقهم كاملة .

تقارير ومقالات صحفية

الطوارق يبادون في مالي ، مالي تقتل طوارقها ، إعدامات بالجملة بدون محاكمة ، مئات القتلى ، مأساة. مذابح ، انتهاكات لحقوق الإنسان ، هلع هروب ، تلك كانت ملخص لعناوين المقالات والتحقيقات وتقارير المنظمات الدولية، التي تناولت الصراع الدائر في منطقة أزواد "شمال مالي" بين المقاتلين الطوارق والجيش المالي ، رغم الاختلاف بين المرسلين في تحديد الأسباب التي أدت إلى النزاع وتاريخه ، إلا أنهم كانوا على اتفاق في إدانة هجمات الجيش المالي على المدنيين العزل ، والذين كان من المفترض أن يقوم الجيش " الوطني " بحمايتهم ، وإذا كانت التقارير قد وقفت على جرائم الجيش ضد المدنيين بشكل يدين الدولة ويحملها كامل المسؤولية فيما وقع ، فإنها على النقيض من ذلك لم تذكر أية خروقات فيما يخص الطرف الثاني في الصراع ، المقاتلين الطوارق ، فبينما كان الطوارق يستهدفون معسكرات الجيش النظامي ، كان الجيش المالي العاجز عن المواجهة يجد في المخيمات و القرى الطوارقية هدفا سهلا لإشباع رغبته في الانتقام ، ولممارسة الضغط على المقاتلين الطوارق.

في بداية يوليو 1990 ، عاد الطوارق إلى التمرد على السلطات المركزية في مالي ، نفذوا عدة هجمات على معسكرات الجيش المالي غنموا عتادا عسكريا ، أثاروا الخوف والهلع في صفوف الجيش ، لم يجد الرئيس المالي آنذاك موسى تراوري ، أية وسيلة لمواجهة الطوارق سوى نفس الوسيلة التي استخدمها سلفه موديبوكيتا سنة 1963 لمواجهة ثورة كيدال ، الهجوم على المدنيين تنفيذ إعدامات بالجملة ، التجويع ، الأهانة ، وتلك كانت السياسة التي واجه بها خلف موسى تراوري ، توماني توري الطوارق. ولا زال المسلسل مستمرا.

تقارير

إعدامات بالجملة لثلاثين شخصا من الطوارق

جريدة بريد الغرب 17-08-1990

باريس :

قتل ما لا يقل عن 29 شخصا من الطوارق-الأيام الأخيرة-شمال مالي من طرف فرق الإعدام التابعة للجيش، لاشك أن ذلك قد تم دون محاكمة، هذا ما صرحت به أمس منظمة العفو الدولية، ووفقا لما ذكرته المنظمة، فإن 11 شخصا من طوارق من بينهم امرأة، قد تم إعدامهم ب"غاو"، بعد تعذيبهم، يوم الثالث من أغسطس، ووفقا لما ذكره شاهد عيان فإن الجثث قد تم سحقها تحت الدبابات تم تركت مكانها كما قتل تسعة أشخاص آخرين يوم السادس من أغسطس في منطقة تسمينا. هذا وقد قتل ستة أشخاص ب"مناكا" أربعة منهم بكيدال واثنان ب"تينساكو".

ومنذ نهاية يونيو، قامت السلطات المالية بنشر تعزيزات عسكرية على اثر هجمات مسلحة قام بها الطوارق، يظهر أن العمليات قد جاءت على اثر الإيقافات التي تمت ضد الطوارق الذين عادوا من الجزائر وليبيا في مايو وبداية يونيو إضافة إلى الإيقافات التعسفية والإعدامات بالجملة ضد الطوارق في النيجر في شهري أبريل ومايو. ووفقا لما ذكرته منظمة

الغزو الدولية، فان القوات الحكومية قد قامت بعمليات انتقامية ضد المدنيين الطوارق لم يكن لهم دخل في الصراع، ويقدر عدد الذين قتلوا من طرف الطوارق بمائة وخمسين شخصا من بينهم ضباط عسكريون في حين قتل مائة وعشرون شخصا من طرف القوات الحكومية. وقد أعلنت السلطات المالية في 20 من يوليو حالة الطوارئ وفرضت حظر التجول في مناطق غاو، كيدال، مناكا تينبكتو "شمال شرق البلاد" من بين 29 شخصا من الطوارق الذين تم إعدامهم في الأيام الأخيرة "من طرف الجيش المالي"، نذكر ثلاثة أشخاص منهم قائد مقاطعة "ايشانانهارن" أحمد أغ ماخا البالغ من العمر 80 سنة وممثل الحزب الحاكم الاتحاد الديمقراطي للشعب المالي يوسف أغ داندان.

مأساة رجال الصحراء الزرق

فيليب ديكرايين: جريدة 24 ساعة لوزان في 20 سبتمبر 1990

الطوارق يبادون في مالي

"ليست هناك مشكلة طوارق في مالي" هذا ما أكده بشكل قطعي منذ بضعة أسابيع الجنرال موسى تراوري الذي يمسك السلطة في باماكو منذ 1968 حين كان ملازما شابا ثم تمكن من إزاحة الرئيس موديبوكيتا. وهذا التصريح مناف تماما للحقيقة حيث أن وجود الطوارق كان مطرح دوما وحتى بعد ثلاثين عاما من حصول دول إفريقيا السوداء على استقلاله، مطرح مشكلة متعددة المظاهر: عرقية، اجتماعية، ثقافية، سياسية، عسكرية كما انضفت إلى ذلك

وبشكل يتوسع تدريجيا مظهر إنساني .

تعرف كل الدول المسماة ب" الساحلية" والتي بحكم وجودها في جنوب الصحراء تجد نفسها على صلات بعالم البحر الأبيض المتوسط والذي يعيش فيه البيض إضافة إلى صلاتها بعالم إفريقيا السوداء، تعرف كل هذه الدول منذ عقود غابرة قضايا تسبب فيها موقعها بين شعوب سمراء وأخرى بيضاء ونظرا لقبهم من البربر فان الطوارق-من الجانب الاجتماعي- من كبار الرحل مثلهم مثل الطوبو في تشاد-يجوبون بقطعانهم أرجاء الصحاري الشاسعة غير مكتثرين بالحدود الدولية التي حددها المستعمرون القدامى أواخر القرن الماضي، تاريخ علاقتهم مع الحضر طويل بل دموي لا يخلو من الصراعات في أحيان كثيرة

كون ثقافي متفرد

إن الكون الثقافي للطوارق متفرد في نوعه فالرجال الزرق كما يسمون أو"رجال اللثام" وفقا لتسميتهم لأنفسهم ، وذلك أن عندهم ، ليس النساء هن اللائي يضعن اللثام -بل الرجال هم الذين يغضون وجوههم ،للطوارق لغتهم الخاصة وهي "التماشيق" ولهم كتابتهم الخاصة أيضا وتسمى "تيفيناغ" وهم أساسا من ذوي الديانة الإسلامية إلا أنهم يمارسون شكلا من الإسلام تطغى عليه الذكريات الروحية.

وعلى المستوى السياسي ، يمثل الطوارق مشكلا خطيرا ذلك أن بعض الدول -مثل مالي منذ ثلاثين سنة يتعاملون معهم على أساس أنهم مواطنون من درجة ومنطقة الثانية وذلك سبب بقاءهم بعيدا عن التمدن. وفي النيجر على عهد الرئيس الراحل حمانى ديوري بقي الطوارق

داخل صف المجموعة نظرا لأنه قد عين وزيرا للشؤون التقليدية، واليوم عندما رأى خلفه الثاني الرئيس علي شعيب أن يضايق هذه الأقلية ارتدت هذه الأخيرة إلى حالة العصيان. ومنذ وقت قريب جدا، اجتمع في جانب جنوب الجزائر الرؤساء الأربعة لمالي والنيجر والجزائر وليبيا لمناقشة مشكل الطوارق التي قال الجنرال موسى تراوري "لا وجود لها"

مئات القتلى في الفترة الأخيرة

على المستوى العسكري، والإنساني كذلك يظل الوضع في مالي أكثر مأساوية. وقد سبق أن قامت القوات الجوية المالية سنة 1962 بقصف مخيمات أمانة في أدرار ب"يفوغاس" وفي الفترة من 1970 إلى 1980 استغلت حكومة باماكو ظروف الجفاف الكبيرة وحاولت دون جدوى القضاء على الطوارق بتجويهم عن طريق تقليل مساعدات المجتمع الدولي، أما اليوم فقد تجاوز الجيش المالي درجة جديدة من التصعيد القمعي. وتأكيدا لذلك فقد تم خلال الأسابيع الأخيرة قتل مئات الطوارق وعذب آخرون، سجن بعضهم تعسفا واغتصبت العديد من النساء وأسبى إلى الكثير من المسنين.

ولا تزال المنظمات الإنسانية هي التي تتحرك وتصدر النداءات، أما الجنرال تراوري فيحاول استغلال أزمة الخليج لصالحه بتصفية حساباته بتكتم شديد مادامت أنظار العالم الخارجي منصبه على الشرق الأدنى.

مذكرة إخبارية جريدة الفجر 20-09-1990

عمّا تعرضت له مجموعات الطوارق المقيمين في أزواد " المنطقة الشمالية لمالي حاليا"

يمكن اختصار الحالة المأساوية التي تعيشها "أزواد" المنطقة الشمالية لمالي حاليا " منذ أسابيع كالتالي : -أواخر فبراير 1991 قامت عصابات من المدنيين المدربين من طرف عناصر الجيش المالي بالهجوم على دكاكين التجار "المور" والطوارق بمدينة غاو وقاموا بنهبها واكتساحها مما تسبب في حالة هلع وهروب عشوائي تسبب في وفاة وجرح عشرات الأشخاص وجميعهم من "المور" والطوارق

20 - مايو 1991 عمليات نهب كلي لدكاكين التجار الطوارق في مدينة تينبكتو وإيقاف أكثر من مائة مدني بنفس المدينة ، فارق أكثر من عشرة أشخاص الحياة بعد أيام من الإيقاف بسبب أعمال التعذيب التي تعرضوا لها.

20 - مايو 1991 قامت وحدة عسكرية مالية بقيادة النقيب "كوني" بقتل 90 مدني من "المور والطوارق في محلة ليري الصغيرة

29 مايو 1991 قامت مدرعات تابعة للجيش المالي بقصف عشوائي استهدف الآبار المعروفة بأغمايين وأرزبك والموجودة على مقربة من محلة "الرنب" فقتلت وبدون أدنى تمييز بشرا وحيوانات.

هذا في أزواد ناهيك عن أعمال التعذيب التي مورست في "سيفاري" و"موتي" وفي مدن أخرى ضد السكان "المور" و"الطوارق وهي حصيلة شهرين من القتل الذي مارسه نظام

حكم عساكر موسى تراوري. وفي الوقت الراهن ووفقا لكل المصادر التي لدينا فإنه يبدو أن هناك مذبحه موجهة ضد "المور" والطوارق في أزواد قد تم الإعداد لها، وان ما يحدث منذ ثمانية أسابيع ليس إلا البداية وللتأكد من ذلك، يكفي الاستماع لبعض الدقائق للمحامي دمبا ديالو" وهو الموجه الحقيقي، وليس الأمر سرا، للفريق الجديد الحاكم في مالي " على أمواج راديو فرنسا الدولي عندما يتخلى عن عباءة المحامي ويضع في قمة النفير الحربي عندما تسمعه وهو يعرب عن أسفه أن العساكر قد تصرفوا بطريقة خاطئة، وبحته عن الصفح لهم عبر لهجة خطابية بالية يعرفها أمين دادا أو بوكاسا حين كان في أوج عزه الإمبراطوري، عندما تسمعه وهو يعيد بقصد وفي كل حديث صحفي نفس العبارات والنغمة فانه لا يمكنك إلا الإحساس الأكيد بأن هناك مذبحه قيد الإعداد وأنها ستتم عاجلا.

وكما سبق لسكان "أدرار" في إيفوغاس بمنطقة كيدال أن تعرضوا لمذبحة سنة 1962-1963 والتي لاتزال في ذاكرة الجميع فأن نظام موسى تراوري لم يتورع عن أن يقوم خلال الشطر الثاني من سنة 1990 بمذبحة اخرى تتمثل في اباده مخيمات كاملة بقصفها بالرشاشات والقضاء بالقنابل على أسر يوضعون مسبقا في حفر جماعية حفرت خصيصا لهذا الغرض، وهل هناك وحشية وفضاعة أكثر من سحل شخص تحت سلاسل دبابه وعلى مشهد من الملاكما وقع في مدينة غاو، تلك صورة مختصرة لما يعيشه الطوارق و"المور" في أزواد، هذا إذا عاشوا ولم يموتوا؟

نحن نقول طفح الكيل لقد طفح الكيل وكل الذين يحبون السلام والعدالة في أنحاء العالم يقولون لقد طفح الكيل لقد طفح الكيل.

لابد من إيقاف اليد القاتلة لتوماني توري وطغمته لابد من التوقف عن تسليحهم وإغراقهم بالأسلحة.

ومن منا يقبل أن يتحمل مسؤولية المحن التي لاقاها هذا الطفل الذي لم يتجاوز السبع سنوات والذي وصل مؤخرا مع أسرته بعد عملية هروب دامت ثلاثة أيام عبر الصحراء الملتهبة وصل إلى أحد المراكز الحدودية وقد فقد بصره بسبب افتقاده إلى أهم مقومات العيش الضرورية.

إن الطوارق يريدون أن يعيشوا في بلادهم وعلى أرض أجدادهم محترمين وأحرارا، أحرارا في أن يختاروا مصائرهم، أحرارا في أن يكونوا هم أنفسهم. أسماء الذين أعدمهم الجيش المالي دون محاكمة بقرية ليري صباح يوم 20 مايو 1991

محمد أغ المهدي إمام مسجد ليري

أشوكرو أغ حمزة زعيم مقاطعة كيل تيارمت

المهدي أغ أماها ديودج صيدلي

ابنته الصغيرة السن كانت معه ساعة إيقافه

الطيب أغ محمد ممرض

مولود ولد بونا تاجر

بشير ولد بويكر تاجر

حمادا ولد بوبا تاجر

محمد ولد بونا تاجر

الماضي اغ العباس تاجر
محمد عيسى أغ محمد عيسى تاجر
سيدي المختار حيدرة تاجر أحمد حيدرة تاجر
سيدي محمد ولد صادق تاجر
سيدي محمد ولد أبوبكر تاجر
الكيهالي ولد الحبيب ولد بويشا تاجر
حمًا ولد بويشا تاجر
صغير ولد محمد الأمين تاجر
مختار ولد العاقل تاجر
علي ولد طالب تاجر موريتاني
حمد شيخ الغلاوي تاجر موريتاني
سيدي محمد ولد محمد المختار تاجر موريتاني
انتابي أغ محمدون
محمدون أغ أبوبكرين
الحسين أغ محمد المهدي
الأخفش أغ الحسين
عبادو أغ محمد المهدي
محمد صالح أغ بالي

الخليفة أغ امبوسانا

محمد اغ الخليفة

إسحاق أغ محمد

باهاري

محمداد أغ باهاري

ايهيا رهياً أغ علي

أمانغا أغ ايها ايها

طوغو أغ يارالفا

محمدأحمدو أغ حماني

أحمدو أغ حماني

فاتي

يادو أغ حماما

وهناك آخرون لم تحصل الجمعيات والصحافة على أسماءهم.

تقرير منظمة العفو الدولية

هيرفي غالي : مجلة لوبوان 17 غشت 1990

ملا يقل عن 29 شخصا من الطوارق من بينهم الأسماء التالية قد تم إعدامهم في

الفترة الأخيرة بطريقة تعسفية في شمال شرق مالي ، وهؤلاء هم الذين ذكر أنهم قتلوا:

أحمد أغ مخاذا زعيم مجموعة من الطوارق بايشادانهان، ويبلغ من العمر 80 سنة، وتم إعدامه في ميناكا

يوسف أغ دان دان عضو حزب السلطة بقيدارمين واعدم هو أيضا في ميناكا
بشار أغ خامدين طفل يبلغ من العمر 10 سنوات أعدم بمحلة تامنسيا، هذا
بالإضافة 27 شخصا من الطوارق:

حسان أغ محمد ميكاينيكي أعدم بغاو، انتيادين أغ أبو بكر أعدم في كيدال ، سيد
أحمد أغ أونانا أعدم في تينا ساكو دائرة كيدال، وقد تمت الإعدامات أمام العموم من طرف
فرقة الإعدام العسكرية ، ويبدو أن ذلك قد تم دون محاكمة، وتدعو منظمة العفو الدولية
الحكومة المالية إلى اتخاذ الإجراءات والتدابير العاجلة لإيقاف هذه المجازر غير الشرعية من
طرف قوات الأمن ، ومن ثم التأكيد علنا أن المسؤولين عن هذه الإعدامات المتعسفة والانتهاكات
لحقوق الإنسان سيقدمون إلى العدالة ، ووفقا للتقارير فان 11 شخصا من الطوارق من بينهم
امرأة قد تم إعدامهم يوم الثالث من أغسطس بعد أن عذبوا ويذكر تقرير آخر أن جثث
الأشخاص الذين أعدموا قد سحلت بواسطة دبابة ثم تركت حيث هي .

كما تم إعدام ثلاثة أشخاص في ميناكا يوم 6 أغسطس، هذا وذكر أن أربعة أشخاص
قد أعدموا في كيدال واثنان في ميني ساكو و 9 في محلة تامنسا، وعلى اثر الهجمات المسلحة
التي قام بها الطوارق في شهري يونيو ويوليو الآخرين والتي قتل فيها أعضاء من الحكومة
وعدد من العسكريين، قامت السلطات المالية بإرسال فرق عسكرية حكومية وأعلنت حالة
الطوارئ في 20 يونيو وحظر التجول في شمال شرق كل من غاو وكيدال وميناكا وتينبكتو، وقد

خولت هذه الإجراءات الشرطة والجيش باستعمال القوة المسلحة في حالات مختلفة من بينها تلك التي تمارس ضد الفارين. كما أن هذه الإجراءات تحمي القوات من أية تبعات قانونية مادامت الحالة حالة طوارئ كما قامت القوات الحكومية في ما بعد بأعمال انتقامية ضد المدنيين الطوارق لم تكن لها صلة بالنزاع كما تمت مهاجمة مخيمات وإيقاف أفراد وتعذيبهم وإساءة معاملة السكان الطوارق. وتذكر التقديرات أن 150 عسكريا قد تم قتلهم من طرف الطوارق فيما قتلت القوات الحكومية ما يفوق 120 مدنيا من الطوارق. وتطالب منظمة العفو الدولية بإجراء تحقيق فوري ومستقل حول هذه المجازر ، كما تطالب بنشر نتائج التحقيق في اقرب الآجال هذا وتطالب المنظمة أن يتم إطلاق سراح الأشخاص الذين تم إيقافهم لاعتبارات عرقية فورا وأن يحظى أولئك الذين اتهموا باقتراف جرائم بمحاكمة عادلة وأن يحموا من التعذيب وإساءة المعاملة.

مالي يقتل طوارقه

ليس في النيجر فقط يباد الطوارق ، بل وفي مالي أيضا، إلا أنهم هناك يردون الصاع صاعين ، فقد وصل عدد الضحايا إلى 200 في صفوف رجال الصحراء و300 في صفوف الجيش المالي.

وفي شرق البلاد وفي قلب مثلث غاو-كيدال ميناكا تجري مذبحه... ولكن الصمت مطبق ليس هناك اتصالات هاتفية والمنطقة ممنوعة منعاً باتا. وتتكلم الصحافة المحلية عن بعض قطاع الطرق تم إيقافهم، إلا أن الحقيقة غير ذلك ثلاثة أرباع القوات المالية قد

حشدوا على أبواب الصحراء حيث يعيش تقليديا ثمانمائة ألف من طوارق البلاد. وقد تحولت المعارك تدريجيا إلى مجازر عمياء ففي الثالث من أغسطس قام الجيش المالي بإعدام عشرة أشخاص دون محاكمة وتم تقطيع جثثهم ارباربا ؟
كما تم نهب مخيمات كاملة والقضاء على نساء وأطفال كثيرين.

وردا على هذه المذابح يقوم المقاتلون الطوارق الذين لا يزالون عددهم في تزايد مستمر، بعمليات حرب العصابات، ففي العشر من أغسطس قامت مجموعة من الفدائيين بمهاجمة مركز للجيش بمدفعية الهاون، أسفر الهجوم عن مقتل 16 جنديا وأسر 35 كما تم الاستيلاء على كمية من الأسلحة وعدد من السيارات ونظرا لعدم توفر طائرات فان الجيش يتخبط ويخشى دوما المواجهة مع الطوارق الذين يعرفون المنطقة معرفة جيدة إضافة إلى أنهم مقاتلون متمرسون. ومنذ بداية الاضطرابات في شهر مايو، مات خمسة أوروبيين وقد تم ذلك خطأ _ بلاشك- ولعله عن طريق عسكريين، ولكن في ما يؤكد الطوارق أنهم يقاتلون من اجل ألا يعاملوا مثل الأجانب في حين أنهم في أرضهم، فان المثقفون قد بدأوا في بامكو يطالبون الحكومة بتمكينهم من الحقيقة الكاملة في الشمال وبمزيد من الحرية والديمقراطية.

الهم الطارقي

فرنسا سودان :مجلة جون أفريك العدد1602 من 11الى 17 سبتمبر 1991

تشخيص

الرجال الزرق" مليون متوزعون بين خمس دول" يجب أن يكسوا نسقا عصريا في

حياتهم وهو شيء حرموا منه ورفضوه هم من جانبهم ، وان إنهاء الموجهات رهين ذلك .
أن الموضوعية التي يجب أن يتحلى بها الصحفي تفرض عليه دون شك أن يكون متحفظا إزاء التقديرات التي تقدم عن الضحايا خصوصا عندما تكون هذه التقديرات تدعو الى الخوف لضخامتها ، لذلك فرغم ما أكدته أخيرا حركتان من رجال العصابات ، فانه ليس هناك ما يدعو الى الاعتقاد بأن الموجهات التي تمت في شمال مالي - خلال السنين - قد خلفت أكثر من 1200 ضحية بين الطوارق "اثنتا عشر ألف ضحية" وهو رقم مرعب ، كما أن عدم تحيز الملاحظ يفرض عليه كذلك الأيقع تحت التأثير العاطفي المتسرع بقضية الرجال الزرق الذين ساهمت وفاة السائق في سباق باريس دكار في تحميل صورتهم كأحسن ما يكون ، إلا أنه سيكون من الخطأ أن نغطي وجوهنا: فمشكلة الطوارق بسلسلة مذابحا الصغيرة وغزواتها الدامية وبلاجئها المعدمين قد أصبحت في إفريقيا الساحلية والصحراوية عاملا أساسيا من عوامل عدم الاستقرار .

ورغم أنه يستحيل استحالة قطعية في الوقت الراهن تقدير عدد الضحايا من كلى الطرفين إذ أنه لا بد لذلك من تحقيق دقيق يتم في كل مخيم على حدة وفي كل قرية وفي كل ثكنة ، إلا أن الآثار السياسية لهذا النزاع قد أصبحت أكيدة وجليه .

إن الديمقراطية الوليدة في مالي تتخبط في الاضطراب ، والتوازن الهش في الشرق الموريتاني الغارق تحت دفق الاحيئن معرض للأخطار ، أما جنوب الجزائر فقد أصبح أرضا لا استقرار فيها ، و النيجر الذي شهد ولادة ثورة الطوارق سنة 1989 قبل ابتعادها عنه ، يخشى إن يفتح هذا الجرح من جديد وهو لم يندمل بعد . وليبيا تنتهز هذه الفرصة لتحقيق حلمها في

إنشاء مجال صحراوي تكون الجماهير بؤرته.

يبلغ الطوارق اليوم حوالي مليون نسمة يتوزعون على خمس دول. ولقد تكون تاريخهم المعاصر من مواقف صمود بطولي من أخطاء سياسية معطاة، ويعود تاريخ الثورة الأولى لرجال الزرق ضد القوات الفرنسية إلى بداية هذا القرن. ولقد سحقت هذه الثورة خلال سنتين ثم ترك الفرنسيون المهاري الطيبة إلى ترحالها، وقد عمدوا بدل ذلك إلى تشجيع الخلافات بين الطوارق ولم يقوموا بأي رد فعل إزاء رفض الطوارق التعليم، ودون أن ينتبهوا وقع الرحل في الشرك وظلوا كذلك ولقد ذهب بهم الأمر إلى أن ينظروا إلى حروب التحرير باستغراب وحذر.

ولقد كانت النتيجة أن عمليات الاستقلال والتقسيم الحدودي لأفقرهم قد تمت بدونهم وضدهم فعندما تفجرت ثورة الطوارق الثانية سنة 1963 في مالي لم يساندتهم أحد بل ذهبت الجزائر والمغرب إلى حد تسليم قاداتهم إلى مودبوكيتا ليسجنهم وهذا من شأنه أن يبين الحذر وسوء التفاهم بين هؤلاء البدو البربر وعرب الشمال كانا وسيطلان يمتلان في عمقهما ما بينهم وبين الشعوب الساحلية في الجنوب.

ولقد كانت السبعينات سنوات التشرذم البطئ للشعب الطارقي. ولقد أدت كوارث الجفاف إلى ظهور سكان الأحياء الصفيحية الطوارق على مداخل نيامي ونيبيكتو وأكادز وتمنراست ولا يزال هؤلاء "الصفيحيون" إلى يومنا هذا في غدامس بليبيا التي أعلنها القذافي "وطنا للرجال الزرق".

لا شك أن هدفهم الإبقاء على حياتهم، لكنهم كانوا يصدقون نداءات العقيد من أجل

تكوين ولايات متحدة ساحلية صحراوية فقد التحق مئات من الشبان "الايشومار" في بداية الثمانينيات بمراكز التدريب التابعة للفرع الإسلامي الليبي ولقد قاتل البعض منهم في تشاد وفي لبنان وعلى الجبهة العراقية الإيرانية وفر الكثير منهم مع أسلحتهم وأمتعتهم ليكونوا نواة جيش طارقي مستعد لكل المغامرات. وعندما قامت الجزائر بطرد آلاف البدو الاجيئين عمدوا إلى التجنيد، وعندما لاحظوا أن المساعدات الدولية المخصصة لهم سواء في النيجر ومالي كانت تختلس من طرف السلطات تفجر السخط فحولته الايشومار إلى حرب عصابات لم تتوقف منذ ذلك الحين .

لقد كانت الثورة الثالثة الأكثر دموية ولكنها كذلك أكثر الثورات خطورة على الطوارق كانت طاحنة ذلك أنه في حرب الرمال القدرة يكون المدنيون سواء كانوا من السونغاى أو البويل أو الطوارق أو المور أول الضحايا فعلى مذابح لبرى وتنبكتو يجي الرد بالغزوات الآلية ضد قرى نهر النيجر وقد كانت خطرة لان الهم الأزلي الذي قضى على الطوارق قد جعل هذه الثورة تنطلق دون أن تكون يكون هناك ترابط أو حلول سياسية ووجدت الحركة نفسها ثانية دون مساندة أي طرف إلا ما كان قوليا من القائد الليبي الذي له أهدافه الخاصة والذي نعرف أن مساندة لم تكن قط مفيدة لأولئك الذين قبلوها، ولقد أصبح الايشومار منقسمين على أنفسهم شيئا فشيئا والتنظيمات الثلاثة التي تتكلم باسمهم " الحركة الشعبية، والجبهة الشعبية والجبهة الإسلامية" تتناهبها مخاصمات بين القادة وفي الختام، ليس هناك من يعرف الحلول السياسية التي يعتمد عليها الصمود الطارقي إلا إذا استثنينا استقلالاً غير واقعي بالمرّة للفضاء الذي يعيش فيه "الكيل تماشق" أي أولئك الذين يتكلمون لغة الطوارق.

وأمام هذه التبعية فان السلطات وبخاصة في باماكو لا يعرفون كيف يتصرفون ، فليس هناك في كل الأطراف من احترم اتفاقيات السلام التي تم توقيعها في تمراست منذ ثمانية أشهر ، فلا تزال عمليات التمشيط تعقب عمليات العنف . كيف يمكن جعل حد لهذا الفصل الجهنمي ؟

ليس هناك في الواقع الأمر حل أمام الطوارق غير فرض أن توضع هويتهم الثقافية " وليس السياسية" في الاعتبار وأن يكتسبوا نمط عصري لحياتهم قد حرموه وحرموا أنفسهم منه ولا يمكن للرجال الزرق أن يطلبوا أكثر من ذلك اللهم إذا أرادوا الدخول في حرب عصابات لا نهاية لها ، ولكنهم لا يمكنهم القبول بأقل من ذلك وعلى الدول أن يفهموا ذلك

تقرير منظمة المؤتمر الإسلامي

إستعانت منظمة المؤتمر الإسلامي سنة 1993 بأحد المثقفين الطوارق المتمسكين بالوحدة الوطنية أمبايري آغ رهية لتقديم تقرير حول ما يسمي في مالي بمشكلة الشمال ، وكشف أمبايري عن أسباب المشكلة وكيف ترى مالي أن الحل الوحيد للمشكلة هو القضاء علي الطوارق وإبادتهم ، الملاحظ أنه رغم ما كشف عنه التقرير من ماسي إلا أن المنظمة الإسلامية لم تحرك ساكنا .

مشكلة الشمال: عرض مختصر للبدائيات التاريخية

لم ينشأ عن قضايا الطوارق كبير اهتمام إلا ابتداء من سنة 1990 ويعود السبب في ذلك الى :

1) ابتداء من هذا التاريخ انطلقت الانتفاضات الاولى نحو الديمقراطية وبدأت تهز السلطات في مالي .

2) ابتداء من سنة 1990 حالة انعدام الاستقرار التي نشأت عن التمرد المسلح تمس شعوبا اخرى غير الطوارق الذين كانوا يعتبرون المسؤولين عن الاضطرابات في الشمال منذ 1963م .

وقد قدمت عدة تفسيرات ولاشك ان اصحابها لديهم حججهم ويتحمل كل طرف - مبدئيات - المسؤولين الكاملة لمزاعم ونجاحه اذا كانت خاطئة (بسبب محاباة اصحابها لظرف .(ما)

وهناك تفسير - كثيرا ما يتردد . لتوضيح احداث الشمال ويذهب هذا التفسير الى أن هناك رغبة في الانفصال كان يعبر عنها الطوارق عند الشروع الفرنسي لتكوين المنظمة المشتركة للمناطق الصحراوية وقد استغلت هذه الاطروحة خاصة لكي تنسى بل ولتبرر المظالم التي مورست ضد الطوارق بدعوى أنهم يعارضون أي تعايش مع مواطنيهم السود . وقد تولد عن ذلك ستار من الحذر والتوجس زاد في سمكه سلوك اداري متعسف . بل واستبدادي . اذا مادعت الحاجة الى ذلك . وهو امر يكاد يكون ثابتا في مناطق الشمال منذ الاستقلال والى يومنا هذا .

واني اسلم لاصحاب اطروحة المنظمة المشتركة للمناطق الصحراوية بحقهم في أن يكون لهم تفسيرهم الخاص - سواء اعتمد على حجة او حتى بدونها - ولكن هناك امران يظلان ثابتين وأكيدتين :

1) ففي سنة 1959 م جمعت الادارة الفرنسية في غاو الزعماء الرئيسيين لقبائل ما يسمى اليوم بالمنطقتين السابعة والثامنة ، جمعت السادة : تيلجات عن « مينكا » أيوبا وإيفانفان عن انسونغو / كيو عن غاو / بادى وعثمان عن بورام / انظيلا عن كيدال (يمثل والده الطاهر) وقد عرض عليهم مشروع المنظمة المشتركة للمناطق الصحراوية فرفضوه بالاجماع .

2) في اكتوبر 1959م جاء الى كيدال - حين عقد اجتماع كبير وقد يمثل حكومة الجمهورية السودانية برئاسة السيد « مادييرا كايئا » وخلال هذا اللقاء طرح السؤال التالي بكل مافية من وضوح ودقة طرح على الزعماء السبعة لقبائل الادرار في الايفوغاس " « السودان يتجه الى الاستغلال فهل يرغب الادرار أن يكون طرفا في هذا الاستقلال أمر يفضل أن يبقى

مع فرنسا ؟

و يمثل الوضوح الذي كان عليه السؤال جاءت الاجابة على لسان المتكلم باسم زعماء القبائل السيد الطاهر آغ ايلي :

« لقد قاتلنا فرنسا ونحن جماعة وهزمتنا ونحن جماعة واستعمرتنا ونحن جماعة وهي تواصل استعمارنا جماعة او تعبد لنا حريتنا جماعة ان تفرقنا امر لاسيبل اليه .

فهل يمكن ان نطلب التزاما بالوطنية افضل من هذا ؟

وبعد اقل من ستة اشهر ، وقع احد اهل دائرة كيدال السيد ايناد جامر (من مقاطعة كيل ، وزايان) تحت رصاص رجال امننا ، اصيب في دائرة « تيد جرارت » (حوالي 250 كيلو متر جنوب كيدال) وكان سبب قتله ضريبة مقدار « ٥٠٠ فرنك » ولقد نشر موته الرعب في كل المنطقة ولكن الحدث سجل على أنه حدث طفيف من ضمن الاحداث المتفرقة ، ولم يعر أي اهتمام الى ارملة ويتأصي هذه الضحية الاولى للسلطات المالية . ومنذ ذلك الحين نشأ القلق والتوجس .

1 - تمرد سنة 1963 - 1964

الاندلاع :

في يونيو 1963 م قام احد اعوان الامن الماليين بسبب عجزفته ووحشيته . بتفجير حدث خبيت استمد جذوره من الحقبة الاستعمارية ففي حادثة استنزائية قال لشاب تماشقي « اسمة » الحاجي آغ الا : « أنت لاتستأهل الا ماقد سبق لوالدك أن لقيه من الفرنسيين

« ووالد الحاجي واسمه الأ غ البشير كان معاديا للإدارة الاستعمارية منذ سنة 1929م وقد قتل وابنه الأكبر محمد آغ الأ سنة 1953م . وبعد دفنه بثلاثة أيام ، قام الفرنسيون باخراج جثته من القبر وقطعوا رأسه وطافوا بها في كل منطقة « بروسا » والتذكير بهذا الحادث لم يكن له من مبرر منطقي فلم يلبث الشاب أن استشاط - وهو متوتر بما فيه الكفاية بسبب الممارسات العدائية التي كان يظهرها له رئيس دائرة « بوريسا » فقرر أن يتأمر من كل الذين ساعدوا الجيش الفرنسي لمعرفة مكان والده وقتله: وكانوا جميعا من أبناء مجموعته . وهكذا ، فبعد ان نزع سلاح رجل الأمن الذي اثاره وسلاح زميله ، قام « الحاجي » بقتل أحد أهم الأشخاص الذين دلوا دوريات التفتيش في البحث عن والده . فكانت تلك اول رصاصة اطلقت في ماسمي « تمرد كيدال » : كانت الرصاصة المشؤومة اطلقت على السلطات المالية وكانت لتصفية حسابات شخصية « داخلية » ورغم أنها اتبعت بعد ذلك بقليل باعادة الاسلحة بتدخل من السيد انتالا آغ الطاهر ، فقد توالى دوريات التفتيش التابعة للحرس تجوب دائرة « كيدال » وتررع مخيمات الطوارق وقامت خاصة بتعرية الرجال أمام اسرهم وأرغموهم على التحديق في الشمس وهم مقيدوا الايدي ، وقد تملك القلق والرعب السكان . وبدأت بعد شهرين من ذلك عسكرة المنطقة .

2 - قمع تمرد سنة 1963 - 1964م

لقد تم قمع تمرد « كيدال » وهو الاسم الذي اطلق عليه - بطريقة عشوائية وبدون أدنى

تمييز . ولقد تميز هذا القمع بـ:

« تقتيل المدنيين العزل: ببادءة مخيمات كاملة وتنفيذ اعدامات بالجملة وأمام العموم ،
اضافة الى حرق أشخاص وهم أحياء وموت عدد كبير من النساء مع أطفالهن في السجون .
- أفناء القطعان بكل فضاضة برشها بالرصاص بخاصة قطعان الابل والابقار . - نهب

الممتلكات من المخيمات

- الاهدانات الكلامية

- خطف النساء المتزوجات

- محاولة فرص ثقافات أخرى بإجبار الاطفال على الغناء بلغة البامبارا ولم يقم شخص
وأحد -حسب علمي- ضد هذه الابداءة اللهم الا الدكتور محمد سومارى الطبيب العقيد
« بكيدال » ونظرا لان موقفه كان علنيا فقد نقل الى باماكو عقوبة له على هذه الشجاعة .
أما في ما يتعلق باقرار الامن واعادة السلام فقد برزت شخصية واحده خاصة السيد
. أنتالا آغ الطاهر ، الذي توصل الى اقناع المتمردين بالاستسلام مع ضمان عدم قتلهم ، وبناء
على ذلك أعلن رسميا عن أنتهاء التمرد في 22 شتيمبر 1964م . الا أن الفضاغات التي
اقترفت والمحنة التي تعرض لها السكان قد تركت في ضميرهم جراحا ستظل مفتوحة ولوقت
طويل .

3- النتائج :

ان الاثار الوحشية التي استعملت لقمع هذا التمرد معروفة او بالاحرى من السهل
استنتاجها من التصرفات التي تمارسها السلطات .

لقد تضررت القاعدة الاساسية لاقتصاد دائرة المنطقة وهي تربية المواشي تضررا كبيرا بسبب تلك الابداء الهوجاء للقطعان . ولقد ولد الهلع الذي اصاب السكان نزوحا كبيرا نحو البلدان المجاورة وخاصة الجزائر والنيجر وليبيا . ولقد تساءل السكان الذين ظلوا على تعلقهم ببلادهم اذا كان حكامهم يملكون طرقا اخرى لادارة شؤون البلاد غير الارغام والاهانة ، ولقد كانت الجراح التي تولدت في هذه المنطقة ستندمل بالشكل المناسب لو أن الحكومة أتخذت الاجراءات التالية :

- البحث عن الاسباب الحقيقية للتمرد مع التمييز بكل شجاعة
- المسؤوليات التي يتحملها الافراد وتلك التي تتحملها الادارة
- اعداد بيان بنتائج القمع على المستويين الاقتصادي والاجتماعي
- معالجة الاضرار المادية والمعنوية التي حلت بالسكان ظلما
- البحث عما يجب اتخاذه من اجراءات لمنع تكرار مثل هذه الاحداث التي من شأنها أن تمزق البلاد .

لكن النقطة الاخيرة هي التي يبدو أنها شدت اهتمام الحكومة والتي رأت أن حل المشكل يكمن في عسكرة دائرة "الشمال" لاجل غير مسمى والى اقصى الحدود ناهيك أن العسكرية قد شملت الكوادر العاملة في مجال الصحة ، والواقع أن عملية العسكرة هذه تعتبر اعلانا فعليا لحالة الطوارئ، ولقد اعتمدت وسيلة واحدة لابقاء السكان تحت سيطرة السلطة وهي ايجاد مناخ مستمر من الاهانة في وسط بشرى شديد الحساسية لمثل هذا السلوك ورغم الانتهاء الرسمي لحالة التمرد فإن السلطات العسكرية قد واصلت عمليات التقتيل: فقد

تم قتل المئات في الفترة من 1965م الى 1967م وقد تم ذلك بشكل جماعي أو تحت التعذيب .

وبهذا الاسلوب تم قتل اهم ثلاثة زعماء قبائل الدائرة: حمزة آغ القاسم ، ابياغ آغ المعاق وبيادا آغ رهية . ومن الصعب أن ينسأهم « الادرار » وقد ضاعفت عملية قتلهم لنزوح الذي انطلق منذ الممارسات الخاطئة للحرس في الفترة من يوليو الى أغسطس 1963م ونظرا لوقوع السكان تحت حالة رعب لاتوصف فقد اصبحوا لايشعرن البتة أنهم في بلادهم في حين وأصل مزورو النظام الترويج في بقية انحاء البلاد لفكرة مفادها أن الطوارق معادون لمالي ، وفي نفس الوقت وأصل القادة العسكريون في « الشمال الكبير » .

- كما يحلو لهم أن يسموه - واصلوا التأكيد على اظهار المنطقتين السادسة والسابعة في صورة مناطق يجب أن يكون الوجود العسكري فيها دائما ، وعودة البلاد الى نظام سمي « دستوري عادي » منذ سنة 1979م لن تكون عوامة نجاة فقد بقيت دائرة « كيدال » تحت نظام تعسفي صارخ . وعمليات التفتيش المتطفل للجمال بسبب او بغير سبب إضافة الى القمع الاقتصادي الوحشي في دوائر إيتالييت ، بوريا وأنيلهوك قد ضاعفت من إبقاء السكان في حالة اضطراب اقتصادي داخل دائرة لم ينشأ فيها سوق منذ الاستقلال الي يومنا هذا . وأسوأ ذكريات التعسف تظل تلك التي تتعلق بدائرتي انيلهوك وبوريا حيث يسمح أبسط رئيس مركز عسكري لنفسه . وبدون أن يتعرض لاي عقوبة - بتعنيف المواطنين باستعمال جنوده ولعل آخر حادث يعود تاريخه الى سنة 1987م .

2 - تمرد سنة 1990م

في هذا الجو الذي يسيطر عليه الاتجاه العام لاتهام الطوارق جميعهم ، أندلع التمرد الثاني ، تمرد يونيو 1990م ولقد كانت الحكومة تعرف - على ما يبدو أن التمرد كان يتهباً منذ سنوات . ولكن بدل أن يستعمل المعلومات التي كانت لديها لنزع القتل في الوقت المناسب ، فأنها اختارت - ولاسباب خاصة بها - أن تبقى تلك المعلومات تحت غطاء الصمت متظاهرة بأنها لاتعتقد في صحتها . ولو أننا فتحنا باب الحوار قبل الانفجار لكنا تفادينا تلك الاضرار الفادحة التي كانت قد وقعت حيث فكرنا نحن في اللجوء الى الحوار . وان كبر الحكام يخنق . في بعض الاحيان - حكمة البلدان .

1) القمع : وحتى اذا كنا لم نهتد الى حكمة الحوار في الوقت المناسب فإنه كان بإمكاننا أن نكون لنا حكمة تفادي فضائح سنة 1963 - 1964 رغم انزلاقنا الى القمع . وللأسف فقد كانت الطرق الوحشية للقمع كلها متماثلة (فلم تكف الاعدامات بالجملة التي ارتكبت في غاو التي اشتهرت خاصة بعرض اصابع الضحايا على العموم ، في حالة طوارئ يعود الاعلان عنها - وبشكل متناقض - الى الجيش ظهرت تصرفات اخرى من طرفه وكأنها ، رورية لتأكيد أن مبدأ دولة القانون الذي اعلن ان ليس مجرد تقليد للآخرين . لقد ابيدت مخيمات كثيرة وأفنيت قطعانها ونهبت ممتلكاتها: الزرايبي (السجاد) التي قايسوها بألواح الملح ليحتموا بها من البرد ، والخيام وحلى النساء ، وستظل خمسة مشاهد راسخة في أذهان اولئك الذين واللاتي كتب لهم ولهن العيش بعدما عينوها .

أ: منطقة تاوارد: في هذه المنطقة التي تقع على بعد مائتي كيلومتر في الشمال الشرقي قامت سرية «بارا» بإعدامات بالجملة أو بإحراق اشخاص، كما قامت باختطاف نساء من أزواجهن - بعضهن في حالة حمل وتم اهداءهن الى الجنود الذين قاموا باغتصابهن .

ب: تيناوكير: (70 كيلو متر شمال غاو): هي قرية صغيرة أسسها الطوارق الذين خامرتهم تجربة الاستقرار، وتيناوكر اليوم قرية خاوية على عروشها. وبعد الذي فعله «البارا» اذاقوا اهل «تيناوكر» الويلات ذات صباح، فقد جمعوهم ونزعوا عنهم ملابسهم وقيدهم. وقد أهين الرجال والنساء بشكل وحشي. وأخذ عدد من الرجال، وتم نهب المنازل.

ج) تيغبروتي (48 كيلومتر شمال غاو): انها قرية اخرى اسسها الطوارق الذين اضطرتهم ظروف الجفاف سنة 1984 - 1985 م الى الاستقرار، وقد شهدت «تيغبروتي» قسطها من ذلك المشهد المولم، فلقد تعرض ال 29 رجلا الذين وجدوهم يقبلون الى نفس اساليب التعذيب والاهانة بحضور النساء، ولم يتوقف الضرب بالسياط الا على اثر تدخل زوجة احد الحراس التي كان زوجها في «طارزه» وقد كان النهب هنا ايضا. ولقد رميت جثة احد الذين اخذوا من «تيناوكر» بالقرية بعد أن مات تحت التعذيب.

د) دجيوك (32 كيلومتر شرق غاو) خلال تجمع نظم هنا ب «دجيوك» قال قائد «البارا» في خطبة له: ان حل مشكلة الطوارق تتمثل في القضاء عليهم ولقد جئت هنا

لاتكفل بذلك ولا أريد أن أضيع خراطيشي مادام لتر بنزين الواحد كافيا لحرق عشرة طوارق .

ه : الكيت (25 كيلومتر غرب كيدال) وهنا أيضا اسالت سرية « البار » التي جند قائدها لايجاد حل للطوارق - واشعلت النيران . في البداية امام القائد بتجميع النساء لمفردهن والرجال بمفردهم . ثم تركوا وتركن نصف عرايا وعذبوا عذابا وحشيا بالسياط والاحزمة . ثم قام القائد بالقاء خطاب قال فيه : « سنقوم بقتل رجالكن وستزوجن لتنجن اطفال يحبوننا » وكلي يقرن القول بالفعل ، رميت قنبلة اولى على الرجال الذين كانوا متراسين وكالمحمدين ، ثم رميت قنبلة ثانية وكانت النتيجة وفاة ستة اشخاص وجرح اربعة جراحا بليغة ، ثم قتلت الضحية السابعة غير بعيد برصاصة في الرأس كما قام الجنود بتجريد مجموعة من الفتيات من أساورهن . وحطم معظم المخيم وأفرغ مما فيه من طرف « البارا » وبيعت ملابس وحلي النساء بـ « كيدال » .

(3) اتفاقيات تامنراسيت .

1 - المناخ السائد لدى توقيع هذه الاتفاقيات: عند ما قررت السلطات الالتجاء الى الحوار لحل المشكلة ، كان الجيش ونظرا لما ارتكبه من فضاعات - يتمتع بشهرة معنوية كبيرة لدى السكان « التماشق » وهي شهرة قد استطاع عدد من قادة هذا الجيش أن يزيدوها سوء منذ سنة 1963 م . وفي مقابل ذلك ، كان المتمردون يسكون بايديهم المراسلات التي وردت من أركان الجيوش والتي تمثل في مضمونها تحريضا على ابادة المدنيين ، وجدت

هذه المراسلات في ارشيفات « ايبارا » و« بوريسا » و « تينزوانين » ورغم كل ذلك فإن الاجراءات والمناقشات قد أدت الى توقيع اتفاقيات « تمانراسيت » يوم السادس من يناير 1990 م . والاطراف الموقعة على هذه الاتفاقيات هم : الحكومة المالية ، الحكومة الجزائرية والحركة الشعبية للأزواد / والحركة الاسلامية للأزواد ويظهر ان بعض أعضاء وفد المتمردين قد كانوا مرتاحين لتوقيع الاتفاقيات بعد موافقة القواعد العسكرية للحركة الشعبية للأزواد والجهة الاسلامية للأزواد .

2 - كيف تم التصرف في الاتفاقيات : لكي يفهم كل الانتقادات التي غدتها اتفاقيات « تمانراسيت » وتفهم كذلك كل انزلاقات الرأي العام لا بد من أن نأخذ في الاعتبار ثلاثة عوامل أساسية :

أ : تطبيق الاتفاقيات من طرف الحكومة المالية : لقد كان الخطأ الاول للحكومة - والذي وقع فيه على اثر توقيع الاتفاقيات مباشرة - هو رفضها بعناد نشر مضمون هذه الاتفاقيات رغم الحاح بعض اعضاء الوفد الذين قاموا بالتوقيع ، ولم ينشر الا البيان الصحفي لكن دون تعريف البلد بما توصلت اليه المحادثات فعليا ، وهذه الرقابة غير المفهومة كان لها أثران عميقان على عودة السلام ففي الداخل ، تصور الشعب المالي أن الحكومة قد باعت جزء من التراب الوطني ، وازافة الى ذلك فأن بعض زعماء الجمعيات الديمقراطية المتعاطفة معنوياً مع التمرد لانه يعمل على اضعاف النظام هؤلاء ، لم يكونوا مرتاحين لروية قادة التمرد يقبلون الحوار قبل ان يصل اضعاف النظام الى مراحل ابعد .

وبالنسبة للمتمردين - وبخاصة اولئك الذين رأوا في عملية التوقيع اجراء مستعجلا

الى حد كبير- فقد رأوا في صمت الحكومة عن الاتفاقيات دليلا على عدم اخلاصها وانعدام حسن النية لديها ولقد زادت هذه القناعة رسوخا عندما لاحظوا ان السلطات الحكومية لدى حديثها عن الاتفاقيات تتكلم عن « اللامركزية » بدلا من النظام الخاص رغم ان هذه العبارة هي التي تم استخدامها في بنود الاتفاقيات .

وبممارسة هذا الضرب من البهلوانية أثبتت الحكومة للرأي العام الذي كان في حالة غليان انهما لم « تبع » شيئا وجعلت المتمردين يقتنعون بأن الحكومة لم تمنحهم شيئا .

ب) تطبيق الاتفاقيات من طرف « الحركة الشعبية للأزواد و« الجبهة الاسلامية للأزواد » عندما أشار بعض اعضاء الوفد الحكومي - الذين شاركوا في التوقيع على الاتفاقيات - على ايداد أغ اغالي سكرتير الحركة الشعبية للأزواد بالسفر الى باماكو بدل العودة الى القواعد التي تتمركز فيها حركته ليقدم تقريرا عما تم الحقوا بلاشك ودون قصيد - ضربة بشرعية زعماء « الحركة الشعبية لتحرير الأزواد » .

ونظرا لوقوع هذا السفر في وقت مبكر جدا فقد رأى فيه الجناح المتحفظ للحركة الشعبية للأزواد صداما بين ايداد والحكومة المالية . فلم يعد هناك ما يحتاج الى الانتظار ليتأكد العصيان ويتطور الى تشدد في المواقف .

واستؤنفت الهجومات المسلحة وكان الجميع مندهشين لذلك أما الحكومة التي كانت مشغولة كليا بحالة الغليان التي كانت في باماكو لم تفهم حقيقة ماكان يحدث الا في اللحظة التي كانت قد سيطرت فيها على الاوضاع في الداخل ، وفي مقابل ذلك أنهم بعض المواليين في الحركة الشعبية للأزواد والجبهة الاسلامية للأزواد -من بين اولئك

الذين وضعوا بداخل البلاد للقيام بتوعية الرأي العام بعد اتفاقيات تامراسيت - بأنهم تفوهوا بعبارات يؤسف لها لشدة سوئها . وقد كانت هذه العبارات ممتهجنة جدا نظرا لما كان يتوسم في هاتين الحركتين من التواضع والبساطة . وقد كانت غير مناسبة في حق سكان مدينتين في المنطقتين السادسة والسابعة ، سكان كانوا يرون أن اتفاقيات تامراسيت التي تم توقيعها قد كانت على حسابهم . وأزمة الحكم المضاعفة سواء لدى الحكومة المالية او في اوساط الحركة الشعبية للأزواد» قد أدت الى وجود فراغ مضاعفة في مستوى السلطة بحيث أنه لا يوجد لدى الطرفين من يضمن تطبيق اتفاقيات تامراسيت ، تلك الاتفاقيات التي لم تشرح بشكل مناسب لا للشعب في الداخل ولا لقواعد المتمردين . ولقد انضافت الى هجومات الانفصالية ، تلك الهجومات التي تقوم بها العصابات المسلحة والتي يصعب التنبيه الى أنها تابعة للانفصاليين . ونشأت عن ذلك حالة من انعدام الامن...

4) ازدياد حالة انعدام الامن سواً: في هذا المناخ المتأزم وقعت الاحداث التاريخية للسادس والعشرين من شهر مارس 1991م ، والتي تولدت عنها - هي ذاتها حالة من انعدام الامن نظرا لاستحالة ان تتمكن سلطت جديدة من السيطرة على حكم البلاد الذي آل اليها في ظروف شديدة الاضطرابات . وفي هذا المناخ العام الجديد - الذي جاء لينضاف الى ذلك الذي كان سائدا في شمال بلادنا انفجرت فجأة عمليات نهب الاسر الطوارقية في مدينة غاو ، وتومبكتو ، ودونزرا وسيناري ، وديري ، عقبتهها بعد ذلك بقليل هجمات مماثلة على السكان المدينيين في ليري» وماحولها اضافة الى غوندام وتونكا . ولقد مكنت هذه الهجمات التي يقوم بها المتمردون الانفصاليون والعصابات المسلحة من تكاثر هجمات

رسائل لها دلالة

عديدة غيرها على الدوائر والقرى البريئة .

ولقد اصبح السكان البيض في الداخل هدفا لعاملين من عوامل عدم الاستقرار السكان الحضرة السود من جهة والجيش من جهة اخرى . ورغم استقرار الطوارق نساء وأطفال من المدن والقرى فأنهم ظلموا وهم في هذا القرار اليائس عرضة للملاحقة والتمشيط اللذين يقوم بهما الجيش في دوائر « نيونو » و « نيافونكي » و « غوندام » و « تومبكتو » .

واضافة الى هجومات النهب ، فقد ولدت عمليات الملاحقة والتمشيط تلك العمليات التي لم تستثن اولئك الذين يعتبرون مجرد مغادرة تراب البلد تديسا للوطنية - ولدت موجة جديدة من الاشخاص الذين اهبينوا: اولئك هم المواطنين الذين نهبوا وأسر المواطنين الذين اعدموا بشكل جماعي من طرف سرعان ما أخذت شكل مواجهة بين الاعراق المختلفة ، قد اضرمتها الحملات التضليلية من هنا وهناك ، وقد زادا خطورة انهيار سلطة الدولة . ولقد كان التضليل من الخطورة بحيث أن الجنود الذين يرسلون في دورية تفتيش لديهم دوما قناعة بأن أي شخص طارقي حتى وأن لم يكن متمردا أو من رجال العصابات فإنه ينتمي الى شبكة موجودة في كل مكان ومن الممكن ان يقع فيها أي وقت . فهذا الهلع الهستيرى الذي جسده رش المخيمات بالرصاص وكذلك الامر بالنسبة للرعاة البسطاء الذين يرعون انعامهم ، وقد أدى بنا بل وقضى علينا بأن نواجه تمردين : ذلك التمرد الذي فرض علينا والاخر الذي صنعناه نحن بأيدينا .

وفي هذه الاثناء ، نهبنا المنازل التي هجرها اصحابها سواء لانهم قتلوا او هربوا من شدة الهلع العام ، كما أن القطعان التي تركها اهلها في هذه الاوضاع المنهارة قد تم نهبها في

عمليات الاغارة ثم بيعت داخل البلاد وخارجها ، وانضاف التمزق الذي شهده الاقتصاد الرعوي الى الانهيار المخيف للثقة المتبادلة ، تلك الثقة التي يعتبر ترميمها بعيدا عن أي مغالطة - الارضية الاساسية كل مشكلة الشمال ، وهي ثقة سيؤول اليها دون شك المنطق التاريخي مادامت بلادنا اليوم تقبل أن تطرح هذا المشكل بصورة واضحة ، ويدرس كذلك بشكل وأضح انطلاقا من هذا المقياس الوطني الجديد الا وهو الديموقراطية التي تحت العين المتيقظة للتعقل .

كان المغرب أملا . في ظل عدم الحياد والاستغلال الذي كان يميز سلوك دول الجوار الجزائر وليبيا ، وموريتانيا ، والدول الافريقية إتجاه المسألة الطوارقية والموقف الفرنسي الداعم لحكومة مالي رغم صياحات صحافتها ومثقفها أقبل القادة الطوارق على المغرب أملا في التدخل ولوكوسيط نزيهة لحل الأزمة ، لكن لاحياة لم تنادي . وظلت المراسلات تتوارد على الديوان الملكي المغربي رغم أن الرد مقتقد . من تلك المراسلات رسالة محمد على الأنصاري للملك الحسن الثاني هاته :

Au nom de Dieu clement et miséricordieux...

Nous, touaregs du Mali, prenons a liberté d'en appeler au Royaume du Maroc et à la communaut internationale afin d'attirer leur attention sur la situation dans laquelle se trouve notre peuple aujourd'hui.

Nous tenons à souligner que notre démarche s'adresse, ici au Maroc, en la personne de Sa Majesté le Roi Hassan II, qui assume entre autres, lourds héritages, celui de toujours porter un "regard vigilant" sur le sort des populations du Sahara. Elle nous paraît devoir concerner également tous les hmes politiques ainsi que chaque citoyen marocain, quelles que soient leurs sensibilités ou leurs appartenances ; tant il est vrai que notre histoire, notre culture, en somme notre background sont profondement enfouis au Maroc, (dans le sens historique du vocable Maroc).

Et le temps, et l'oublie, et le tracé arbitraire des frontières

sont impuissants à effacer la réalité de l'effectivité des liens de sang, de l'identité de culture et des valeurs spirituelles de notre peuple avec celui du Maroc.

Nos traditions ne nous prédisposent pas

particulièrement à lancer des appels au secours mais la nécessité nous impose de le faire au moment où notre peuple est à l'agonie. Même quand nous lançons des appels au secours nous ole faisons dans l'honneur et avec discernement.

C'est pourquoi notre premier réflexe et de nous tourner vers le prestigieux trône chérifien. Nous agissons aussi par fidélité et loyauté, car nous sommes convaincus que la disparition imminente, de notre peuple, serait également celle des "postes avancés" de la fabuleuse civilisation Maghrebine, aux portes de l'Afrique Sub-Saharienne.

Il en est de même dans le sud de la Mauritanie, où le devenir de cette civilisation est en jeu, les événements d'Avril 1989 en constituent la première alerte chaude. Majesté, nous apprécions vivement vos talents d'homme politique de grande envergure et les rapports excellents qui vous lient avec les Etats sub-sahariens y compris avec ceux qui nous "ratissent".

Mais savez-vous seulement que ces états exterminent notre peuple pour ôter définitivement au Maroc tous griefs socio-historique, culturel et spirituel (tout ce quidentifie et incarne notre peuple) de nature à servir de support à ce que les dits Etats appellent "les velléités expansionnistes du Maroc..."

L'extermination de notre peuple, débutée avec les

indépendances et entretenue par une action souterraine depuis, par le Mali, est un élément constant de la politique du Mali, mais également du Niger contre ses touaregs.

Cette politique régulière repose sur un certain nombre d'arguments qui remontent plus ou moins loin dans le temps :

- ils n'ont jamais oublié la déclaration du résident-général Lyautey, alors au Maroc, qui lançait "... le sultan est l'Islam couronné, souverain politique et religieux que tous les musulmans du Maghreb, jusqu'à Tombouctou regardent depuis toujours comme le seul vicaire de l'Islam sur la terre..."
- Ils reprennent toujours à leur compte les déclarations de la presse française, notamment l'illustration dans sa livraison du 24 Février 1894. "... la prise de Tombouctou assurera l'avenir du continent noir ..."

Pour prendre Tombouctou, les français en ont bouté dehors les touaregs, pour garder Tombouctou le Mali exterminera les touaregs.

Les régimes successifs au Mali, comme au Niger, n'oublieront jamais que le Sahara et ses populations ont depuis toujours vécu sous l'allégeance des Sultans de Marrakech et plus tard sous celle du Maroc.

- Que par delà les obstacles constitués par les frontières héritées de la colonisation, les liens ombilicaux avec le Maroc sont demeurés réels dans le sous-conscient collectif de notre peuple.
- Ils sont, d'autant plus convaincus du sérieux de leurs craintes, que ces populations n'ont jamais renoncé historiquement à cette

allégeance et à ces liens ombilicaux.

Majesté, le drame qui se joue dans cette poche du Sahara est hélas, réel. Il n'aurait jamais dû se jouer et doit cesser.

Le Grand Sahara est un et indivisible et fait partie intégrante du Maghreb et non de l'Afrique de l'Ouest. Voilà déjà trente ans que notre peuple, par la voix de ses chefs traditionnels, qui ont su comprendre ce que signifiait l'indépendance pour les touaregs au sein du Mali, tente vainement de réintégrer la mère-patrie. Alors même que d'autres sujets ont manifesté énergiquement leur volonté à rompre le lien ombilical, voire briser les liens fraternels du Maroc avec les Etats Maghrebins, ternir son image de marque à travers le monde, notre peuple n'aspire qu'à servir et ne demande que la protection de son identité et la mansuetude de Votre majesté.

Dans cette partie du Sahara, il y a un trésor humain d'intelligence, de dévouement, de résolution, où le Maroc pourra puiser pour beaucoup de ses besoins.

Si l'on permet à notre peuple de se relever, il est capable de constituer un rempart solide aux portes de l'Afrique Noire et garantir la stabilité du Sahara de Tombouctou à Marrakech.

Notre peuple traverse l'étape la plus cruciale de son existence des temps modernes, nous avons l'honneur et le devoir de faire remarquer à Votre Majesté que Son attitude, face à notre drame, déterminera de manière substantielle l'avenir de notre peuple.

Le prestige politique rayonnant et la qualité de Commandeur des croyants, de Votre Majesté sont autant de motifs d'espoir, qui confortent notre peuple dans son désir de voir Votre Majesté, jouer le rôle de premier plan, pour l'aider à assumer cette rude

épreuve.

1. Repères historiques On nous permettra de rappeler d'abord que lors du partage de l'Afrique au début de ce siècle, le Sahara, le Sahara fut la dernière région à tomber aux mains de la colonisation.

Pendant plus d'un quart de siècle en effet, les troupes françaises restèrent aux portes de cet immense territoire avec l'espoir permanent d'opérer une jonction entre ses rives. La méconnaissance de la région, sa nature hostile, la carence des moyens de transports, avaient, pour une grande part, retardé l'accomplissement de cette entreprise.

Cependant même quand ces difficultés furent aplanies, les premières tentatives de pénétration du Sahara furent de cinglants échecs comme l'illustre, en particulier, le sort tragique de la mission Flatters. L'armée coloniale devait progressivement reconnaître qu'un obstacle majeur, le facteur humain, n'avait pas été envisagé. Ce désert, d'apparence vide, abritait des hommes qui, au fi du temps, s'y étaient adaptés, en avaient fait leur pays, et entendaient bien le défendre. Depuis la nuit des temps, nous avions couvert de notre écriture, les Tifinagh, ses grottes, ses rochers et ses puits.

Les militaires français durent convenir qu'ils se heurtaient à une armée de guerriers courageux et bien organisés.

Cependant, la supériorité des armes à feu sur nos lances et nos sabres, la loi du nombre, la coalition des troupes coloniales avec nos voisins et bien d'autres raisons encore se conjuguèrent pour entraîner notre défaite après de sanglants combats, Tit dans le Hoggar, Tombouctou, Anderamboukane dans l'Azawagh,

Tadjmout dans l'Aïr.

Même la paix établie, certains d'entre nous continuèrent la lutte, préférant la mort à la soumission (ainsi Fihroun ag Alinsar dans l'Azawagh, Allah ag Albacher dans l'Adrar des Ifoghas, Attisi dans le Hoggar, Kawsen dans l'Aïr et d'autres encore dont l'histoire a oublié les noms).

Ainsi fut conquise notre patrie, le Sahara central. Pour s'assurer du caractère définitif de notre défaite, on prit soin de nous désarmer et on divisa notre terre.

Comme vous le savez, le point de rencontre des troupes descendant de l'Afrique du Nord et de celles montant de l'A.O.F. devait devenir une frontière partageant notre territoire, le contact entre les deux armées s'opérant dans une tension très vive opposant les troupes d'Afrique française à celles qui, parties du Nord, compatissent bien étendre la surface de l'Algérie.

Cette ligne, fruit du hasard, matérialisa pour nous l'ordre colonial, même si, ne faisant que séparer deux administrations différentes de la même République Française, elle permettait encore notre nomadisation. A partir des années 1920, la paix coloniale nous donna une ère de relative prospérité. Notre peuple fut bien traité et respecté par les autorités militaires françaises, le mythe des "hommes bleus", né de l'immensité même du désert, de la méfiance mêlée à une certaine admiration de ses habitants, avait été très largement entretenu et développé par les anthropologues et les écrivains.

Peut-être commençait-on à comprendre que nous étions dépositaires d'un mode de vie, d'une culture et de valeurs dont la

disparition aurait amputé l'humanité d'une partie de ses données de référence.

Ainsi notre société fut-elle étudiée attentivement sans devoir souffrir une altération du fait de la faible densité de la colonisation.

Ceci explique également que la scolarisation de nos enfants, envisagée dès le début de la conquête, n'ait commencé qu'en 1947.

Mais cette situation, si elle nous avait permis e garder intact notre système traditionnel, empêcha l'adaptation de notre mentalité aux nouvelles données du monde moderne.

Ainsi ne fûmes-nous pas concernés par la seconde guerre mondiale ni par les mouvements d'indépendance qui, immédiatement après, agitèrent l'Afrique.

A partir de 1958, nous avons constaté le départ progressif des troupes françaises vers l'Algérie sans comprendre sa signification ; il nous a été nécessaire d'attendre leur retrait total de notre territoire et leur remplacement par d'autres, dont nous ignorons l'existence, pour entendre prononcer le mot d'indépendance.

Nous sûmes, hélas, rapidement, que cette indépendance n'était pas pour nous et nous nous demandons encore aujourd'hui, avec amertume, pourquoi la France, rendant sa liberté aux peuples d'Afrique de l'Ouest, avait omis la nôtre, choisissant de la confisquer et de nous livrer ainsi à une nouvelle colonisation. Sur quelles raisons historiques, politiques ou humaines pouvait s'appuyer une semblable décision? Pourquoi disposait-on, avec les conséquences tragiques que nous subissons encore aujourd'hui, de notre destin?

Lex-Soudain français accédait à l'indépendance sous le nom

de République du Mali. Ses frontières tracées depuis le début de la colonisation de la façon que l'on sait, le nouvel état malien étendait sa souveraineté sur notre territoire par la simple logique du système colonial.

Brouillée avec l'ancienne métropole dès les premiers jours de son existence, la jeune république malienne dépêcha des troupes vers ses frontières du nord pour s'assurer de l'évacuation effective de ces régions par les militaires français.

Dès leur arrivée, les soldats maliens se distinguaient de leurs homologues français par une attitude hostile, comparable à celle d'une armée en pays ennemi. Actes odieux sur la population, viols, réquisition des chameaux, interdiction des échanges caravaniers, lourdes taxes sur le bétail, humiliations publiques des chefs coutumiers...

Ces mauvais traitements répétés ne pouvaient qu'engendrer un mécontentement dont l'aboutissement fut le soulèvement qui éclata en 1962 dans l'Adrar des Ifoghas.

Equipée de blindés soviétiques, encadrée par les officiers qui avaient participé aux campagnes de France, d'Indochine et d'Algérie, l'armée malienne entra en action contre nous. Dans le même temps, le président du Mali, Modibo Keita, fort de son succès diplomatique dans la réconciliation de l'Algérie et du Maroc après les incidents frontaliers qui les avaient opposés, obtint de ces deux pays leur appui dans la constitution d'un front commun anti-touareg, nous décrivant auprès d'eux comme des nostalgiques de la colonisation. Ce accord nous coupait toute retraite vers le nord et laissait les mains libres à l'armée malienne pour nous écraser par

une impitoyable répression. Expression. Exécutions sommaires et publiques quotidiennes, incinérations des campements à l'essence, minage et empoisonnement des puits, extermination du bétail à la mitrailleuse lourde furent notre seul horizon.

Personne ne tenta d'arrêter ce massacre ni même ne revendiqua l'honneur de dénoncer le génocide d'un peuple qui luttait pour sa survie.

La France resta silencieuse

Cette guerre chassa beaucoup d'entre nous vers les localités des frontières algériennes où ils durent se sédentariser. Les grandes sécheresses des années 1970 et 1980, en décimant nos cheptels, accentuèrent ce processus. Ces calamités naturelles furent d'ailleurs sournoisement utilisées comme arme politique par le gouvernement malien pour essayer d'en finir avec nous. Notre migration bénéficia d'un accueil favorable en Algérie après le changement de régime intervenu en 1964. Ce pays répondait par une fin de non-recevoir aux demandes pressantes du gouvernement malien de nous rapatrier afin d'obtenir une aide internationale en exploitant notre drame.

Cette attitude fut aussi celle de la Libye après les décheresses des années 1980. Nombre d'entre nous, y travaillant, purent, grâce à des emplois salariés, gagner assez d'argent pour reconstituer partiellement leur cheptel et reprendre une vie décente.

Cette période de répit fut, malheureusement, de courte durée.

Le Mali et le Niger de Kountché avaient toujours vu d'un mauvais œil notre expatriation vers le nord et surtout en Libye. Nous

étions désignés comme étant les agents manipulés par le colonel Khaddafi en vue de déstabiliser le Sahel, la guerre frontière du Tchad était un argument précieux pour nous assimiler aux Toubous et duper de manière habile l'opinion occidentale en se faisant passer pour menacés.

Ceci permettait d'une part de recevoir une aide économique pour équilibrer des armées, d'autre part de justifier toute les exactions dont nous étions l'objet sur ces deux territoires.

Au Mali, nous sommes considérés comme des citoyens de seconde zone, bons uniquement à payer de lourds impôts et à se débrouiller seuls pour vivre exclus auteur des villes et des villages. Notre fonction devient d'attirer la curiosité des touristes et l'aide internationale qui constituent la plus grande partie des ressources du Mali.

Le temps a prouvé maintenant que ce pays n'a aucun désir de nous intégrer. Depuis l'indépendance, aucune réa&lisation n'a intéressé notre région et certains postes à responsabilités nous sont toujours fermés (aucun touareg n'a accès, par exemple, à l'école des officiers).

Le Mali, comme le Niger, a choisi de nous combattre à cause de notre différence culturelle. Nous devenons, chaque jour un peu plus, étrangers sur notre propre terre, à la merci des abus de toutes sortes, un peuple qui meurt.

Nous n'avons plus le droit de parler notre langue et nos enfants sont contraints d'apprendre celle des autres, nos traditions sont bafouées et notre jeunesse incitée à les mépriser, nos filles sont à la merci de la soldatesque malienne et beaucoup ne dépassent pas

la quinzième année sans être mères puis abandonnées à la misère.

Nos biens et nos animaux sont saisis et leurs propriétaires emprisonnés pour le franchissement de frontières imprécises. Nos aires de pâturage sont piétinées et détruites pour nous réduire à la misère.

Est-il nécessaire de rappeler au monde que nous avons une culture, une histoire, une langue, une écriture et que nous avons, jadis, un pays?

Devons nous disparaître pour qu'éclate fin dans le monde le scandale de l'injustice qui nous est faite? Avons nous tort de vouloir vivre encore selon nos coutumes et notre cultures? Est-ce un crime de nomadiser pour vivre?

1960-1990, trente année d'indépendance qui ne sont pour nous qu'un cauchemar. Pendant cette période nous n'avons connu que l'administration militaire la loi du fusil, le mépris, l'injustice et la haine.

II. Les événements actuels au Mali

C'est dans ce contexte que surviennent les évènements actuels du mali.C'est dans ce contexte que surviennent les évènement actuels du Mali.

Dès le mois d'avril 1990, la tension est brutalement montée d'un cran. C'est en effet à cette époque que 300 familles ont été rapatriées d'Algérie, avec leur consentement et dans l'espoir nourri par de belles promesses de retrouver une vie décente. Des maisons, des animaux pour reconstituer le chepel, des écoles, des antennes sanitaires étaient promis aux touregs, par l'inter-médiaire

du projet F.I.D.A (Fonds International pour le Développement Agricole). Comme les Touaregs nigériens rassuré par les promesses d'amnistie, les nomades maliens sont rentrés confiants. Malheureusement, ils ont dû vite déchanter. Parqués dans les oueds de Tin Zaouaten, Boughessa et Kidal dans des camps contrôlés et encerclés par l'armée, ils n'avaient plus aucune possibilité de circuler. Le travaillement n'étant pas assuré, ils ont subsisté sur les maigres provisions rapportées d'exil et ont attendu en vain une hypothétique aide internationale.

La misère était totale.

Qui plus est, les hommes et les jeunes des camps étaient inquiétés, arrêtés et la plupart du temps torturés pour leur faire avouer la raison profonde et les circonstances de leur séjour en Algérie ou en Libye. Un certain nombre sont morts sous les coups.

Dans cette situation, les exactions commises par l'armée nigérienne dans la région de Tchintabaraden et les massacres qui y furent perpétrés finirent d'exaspérer la population touarègue malienne.

Aussi l'internement par la gendarmerie malienne de paisibles caravaniers réfugiés du Niger après les troubles et fuyant les massacres, et la menace d'extradition à leur égard, qui revenait à les promettre à la mort, furent l'étincelle qui déclencha la révolte. Le 28 Juin au soir, une soixantaine de jeunes Touareg, dont certains en possession d'armes légères, arrêtent sur la route de Tedjerert à Menaka, un convoi de quatre véhicules tout-terrain appartenant à l'O.N.G World Vision (vision Mondiale). Leurs occupants, quatre conducteurs maliens et deux américains, sont alors ramenés vers

Tedjerert dans un des véhicules. Ils sont déposés à IKADEWAN, dans un des magasins de l'O.N.G contenant des vivres et de l'eau. Avant de partir, les touaregs leur tiennent ce discours : "Nous nous revoltos pour une cause valable et bien connu. Nous ne sommes pas des bandits, mais nous voulons réclamer nos droits...

Actuellement, ces droits sont bafoués et le Mali, qui nous considère comme des arabes, des étrangers, tend à nous faire disparaître... " Les partisans touareg poursuivent leur chemin et entrent à Menaka à l'aube. Ils anéantissent très rapidement le poste de gendarmerie et l'unité militaire de la localité. Ils se divisent après ; un groupe se dirigeant vers la prison afin de libérer les prisonniers touaregs nigériens, l'autre vers le Magasin de l'O.P.A.M. (Office des produits Alimentaires du Mali) pour en ouvrir, largement, les portes aux populations de Menaka.

Le petit poste de Tidarmen est investi par ce groupe le même jour à 12h.

Les combattants touaregs, que la terminologie officielle malienne traie "de bandits armés, de mercenaires rompus aux techniques d'utilisation et predisposés au langage des armes...", ont prouvé au cours des attaques qu'ils ont un code de conduite d'honneur. Ils s'en tiennent exclusivement aux objectifs militaires, épargnant les populations civiles sans distinction de race et de couleur.

Les attaques suivantes ont eu toutes pour cible des postes militaires : TinESSAKO, le 2 Juillet, le 16 Juillet le poste de TARKINT, le 28 Juillet le poste d'Abeybara, au Nord de Kidal, est attaqué, le message intercepté par les combattants touaregs,

sous le n! CL.01/91C du 28-7-90 e l'armée malienne relate ainsi l'opération : "Poste LN5 attaqué ce matin -Ennemis disposent 1 RAC-14 tués - 3 rescapés- 2 blessés graves et 2 disparus - poste entièrement dépouillé-ennemi a usé 1 RMC et attaqué à la grenade à main défensive".

Le même jour, l'armée malienne, qui enclait depuis le début du mois le massif montagneux d'INTAYKAREN, avec deux bataillons commandés par le Colonel Mahmadou kone, commence u bombardement en règle de la position touareg, à raison d'une centaine de missiles par jour, et ce pendant une semaine, jusqu'au 5 Août 1990. Dans la nuit du 9 au 10 Août c'est le poste de Boughessa à la frontière qui fut attaqué, puis emporté par les assaillants. Deux soldats maliens se réfugient en Algérie, à Timiaouine.

Le 11 Août, attaque de TIN-ZAOUATEN-ACHEBRICH, le poste est investi et occupé.

Après cette attaque l'armée malienne a achevé le déploiement de la totalité de ses effectifs dans les régions de TOMBOUCTOU et GAO, ne laissant au sud que la police.

L'Etat-major général des forces armées fut transféré à Kadal ou Nord de GAO, mais l'armée sans moyens aériens efficaces piétine et redoute sans cesse davantage la confrontation avec les combattants touaregs, habitués au terrain et habiles combattants. Les attaques, du poste de RAS-EL-MA à l'Ouest et d'INOKINDER au Nord de Tombouctou en fin Août et des postes de Hombori et BONI à la frontière du Burkina-FASO le 15 Septembre, prirent de court les autorités maliennes qui pensaient faire face sur un seul front.

L'armée malienne s'est regroupée dans les trois villages de Tessalit, Aguelhok, kadal, afin de ne pas disperser ses forces face à un ennemi imprevisible. En effet, adoptant une tactique de guerilla, désormais, les combattants Touaregs, aidés et protégés par le relief, surgissent à l'improviste, là où on les attend le moins. Ainsi, les patrouilles de reconnaissance, les unités de ravitaillement sont harcelées et tombent dans des embuscades, presque chaque jour, et des attaques sont lancées par les touaregs dans l'ensemble des régions de TOMBOUCTOU et de GAO.

Dès le début des évènements, l'armée, exaspérée, en face d'un ennemi insaisissable, cherche à tout prix le renseignement, et fait régner, la terreur, dans l'ensemble du pays Touareg.

Les represailles massives, couvertes par l'état d'urgence et l'instauration du couvre-feu pour toute la région du Nord(TOMBOUCTOU, GAO, KIDAL, MENAKA) sont exercées à l'encontre des populations ciiles. Les arrestations se multiplient. Dans la plupart des villes, villages ou campements, les hommes se cachent ou s'enfuient, beaucoup rejoignant les partisans. Les fonctionnaires maliens d'origine touaregue restés à leur poste sont arrêtés ou vivent dans l'inquiétude. Les arrestations se font sur des motifs divers : "être rouge" (c'est-à-dire blanc au Mali), ne pas avoir de carte d'identité (et l'on sait que les nomades vivant en brousse n'en ont jamais eu..., le reçu d'impôt, qui servait de pièce d'identité, ne suffisant plus...) heberger d'autres Touaregs, porter le chech, et même porter un slip, considéré comme l'indice que l'on vient de l'étranger...

Les conditions de détention sont elles-mêmes déplorables

: les prisons bondés, les prisonniers sont menottés, attachés sous le soleil brûlant de cette époque de l'année. Les détenus ne sont ni nourris ni soignés. Un grand nombre d'entre eux ont succombé pour cette raison. C'est ainsi que sont, entre autres, actuellement emprisonnés, les personnes suivantes dont on reste sans nouvelles Depuis le 12 Août :

- *IBRAHIM Ag Daggar, secrétaire général de la section de l'Union Nationale des Jeunes du Mali (U.N.J.M) de Kidal.*
- *Wadossan Ag SIMATALA, secrétaire adjoint de la section U.D.P.M de kidal, ancien membre du Conseil Natinal de l'U.D.P.M, ancien directeur de l'école de kidal.*

Depuis le 20 Août, après plusieurs interpellations :

- *Ouefane ag Siliman entrepreneur de travaux publics et transporteur.*

Depuis le 22 août :

- *Baba Ben Wahab, agent de transmission de la poste de Gao.*

Depuis le 25 août :

- *Sikaye ag Ekawel, directeur du projet F.I.D.A., ancien consul général du mali à Tamanrasset.*
- *Ambery ag Rhissa, responsable de la direction régionale de l'alphabétisation fonctionnelle.*
- *Iswaden ag Saghid, coordinateur du projet F.I.D.A., chargé du projet de réinsertion des personnes déplacées.*

A Bamako même, les Touaregs, inquiets, se terrent dans l'angoisse. Mais les repréailles ne s'arrêtent pas aux arrestations et aux tortures qui s'ensuivent.

Ainsi, une compagnie de l'armée partie de Gao à la recherche

des partisans touaregs, après les événements de Ménaka, et rebroussant chemin par manque de carburant, investit, sur le chemin du retour, la petite localité de Tarkint. La population y est rassemblée. Des gens y sont déshabillés (humiliation suprême pour un Touareg), maltraités. Il n'y aura cependant pas de victimes. Mais ce n'est pas toujours le cas. Une patrouille de reconnaissance, avant d'être anéantie dans une embuscade, aura un itinéraire sanglant : 14 personnes sont tuées à In Abalen, ainsi qu'un campement entier (80 personnes, femmes, enfants, vieillards).

Le 7 juillet, 12 vieillards et une femme sont abattus au camp de sinistrés du F.I.D.A. près de Tedjerert. Dans la même semaine, à Tawardé, 22 personnes sont fusillées, dont deux femmes. Les 25 juillet, arrestation de 200 personnes, qui furent emprisonnées à Kidal et à Gao. Leur sort est resté inconnu jusqu'à présent.

Le 29 juillet, à Kidal, le chef de la fraction Idnane, Attacher ag Bissaada, le conseiller de sa fraction et plusieurs autres notables sont arrêtés, déshabillés, battus en public. Ils ne doivent leur salut ce jour qu'à l'intervention du commandant de cercle, un militant malien. Motif de cette arrestation : le chef de fraction portait une carabine, modèle 1936, arme de parade classique attribuée aux chefs, et dont il possédait le permis de port. Mais le martyr de ce chef et de son groupe ne devait pas s'arrêter là. Avertie de cette affaire, Radio France Internationale la relatait dans ses flashes d'actualité. Les représailles s'abattirent alors de nouveau sur les Idnanes. Le 17 août, une compagnie des Commandos parachutes, dirigés par le capitaine Siaka Koné désigné depuis Gao pour mission spéciale, investissent le campement du vieil Attacher, à Alkit, 25 km au

Sud de Kidal sur la route de Gao. Les soldats commencent par perquisitionner dans les tentes, mais, ne trouvant rien, se retournent contre leurs occupants. Deux soldats sont désignés pour ôter aux femmes leurs parures et bijoux (Bagues, bracelets en argent ou en or, colliers etc). Puis 10 nomades sont obligés de creuser une grande fosse. Ce travail effectué, les dix hommes y sont étendus. Alors les soldats lancent dans la fosse deux grenades : 7 touaregs meurent sur le coup :

- *Assiltan ag Moussa*
- *Son fils*
- *Alkouneyni ag Moussa, son frère*
- *Attacher ag Abag*
- *Makhmud ag Abag, son frère*
- *Kaya ag Akhmoudan*
- *Lamine ag Bissada*

Les 3 derniers, grièvement blessés, ont été transportés à l'infirmerie de Kidal l'un y a déjà succombé à ses blessures.

Le 2 août au pâturage de Zakar, une caravane de 10 personnes est mitraillée. Les corps des Touaregs abattus par es soldats seront brûlés. Le même jour, un campement est mitraillé au passage par un BRDM (véhicule Blindé). Les nombreux blessés réussissent à être acheminés sur les hôpitaux algériens où il sont soignés actuellement.

Le 4 août, à Gao, 10 hommes et une femme, ramenés dans cette ville après avoir été torturés à Gao, sont exécutés publiquement. Leurs corps sont ensuite écrasés par un engin blindé. Le même jour, le village de Tin Aouker est investi par l'armée. Là encore,

la population est rassemblée, déshabillée, passée à tabac, menacée d'être brûlée vive si des renseignements ne sont pas obtenus.

Le 6 août, à Ménaka sont exécutés 5 Touaregs, dont ahmed, chef de la fraction Ishedenharen, âgé de 80 ans, et Ayni, secrétaire d'administration.

Le 14 août, 24 personnes sont de nouveau exécutées publiquement à Gao. Le lendemain, un jeune chamelier est abattu sans raison devant sa tente.

Le 17 août, 7 personnes sont trouvées mortes à Kidal des suites des tortures qui leur ont été infligées.

Cette liste d'exactions, qui n'est certainement pas exhaustive, n'est-elle pas justifiée par des ordres venus de haut ? Ainsi, le télégramme n° CL 0/Cem/GA du 13-7-90 envoyé à Gao est libellé comme suit : "Rappeler protection populations civiles innocentes ne veut pas dire admettre leur complicité-par-conséquent vous ordonne abattre sans pitié tout élément soupçonné de complicité et qui refuse de donner des informations-prendre dispositions pour encercler le camp de rapatriés et procéder à un contrôle rigoureux à l'intérieur du dit camp".

A la fin du mois d'Août, le bilan était de 305 morts dans l'armée régulière et de 277 Touaregs tués, dont plus de 80 femmes, une cinquantaine d'enfants et plus de 20 vieillards de plus de soixante ans. Encore ce bilan n'est-il composé que des personnes dont on connaît l'identité. D'après les informations qui sont tombées ces derniers jours, il se serait beaucoup alourdi (on parle de 500 à 600 morts) après l'extermination des camps de sinistrés touaregs rapatriés d'Algérie. A quoi il faut encore ajouter le docteur français

Pierre Roudaut, son épouse et leur fils, tués à une quarantaine de kilomètres de Gao, deux voyageurs dont on ne connaît pas l'identité tués à Tessalit, et une française tuée à Tin Aouker. Contrairement à ce qu'affirme l'état malien, des témoins ont vu l'armée les abattre...

III. Ce que nous voulons...

Par cette lettre nous vous lançons un véritable cri d'alarme. Nous savons que Vous pouvez user de votre influence auprès des pays, qui, pour toute politique d'intégration et de développement, nous enferment dans un cercle fatidique de massacre, d'acculturation ; de famines ; de mise à l'index et de répression, pour faire que cela cesse et défendre ainsi les principes fondamentaux de droit humanitaire pour lesquels vous avez toujours combattu.

Le principe de non-ingérence dans les affaires intérieures des Etats trouve ses limites lorsque ces Etats violent chaque jour les droits élémentaires reconnus à tous les peuples.

Dans les évènements actuels, le Mali dévoile la véritable politique dont il a toujours usé à notre égard : identification par la couleur de la peau ; interdiction collective de circuler ; maquillage des revendications légitimes et des actions de notre peuple désespéré en opérations de banditisme ou en agissements de mercenaires à la solde d'on ne sait quel complot international ; rétention de la vérité et de l'information pour mieux exterminer des populations innocentes ; exacerbations de haines raciales ou tribales...

Nous rejetons et affirmons que l'argument de pauvreté ; derrière lequel se réfugient les autorités maliennes, est inopérant. Car il est inadmissible que le Mali, un des pays les moins avancés

de la planète, consacre la quasitotalité de son produit national brut et la totalité de son endettement à suréquiper militairement.

Nous refusons d'être considérés comme la minorité blanche du Mali. Notre peuple revendique le même droit à l'existence que chacune des multiples minorités qui, à elle toutes, forment le tissu social de ce pays.

Nous refusons l'image de vendeur d'esclaves et de pillards que l'on continue à donner de nous et dans laquelle on voudrait nous enfermer pour dresser contre nous les citoyens maliens : aux temps révolus de l'esclavage, l'histoire nous enseigne que les plus grands fournisseurs d'esclaves aux négriers étaient les empereurs et autres roitelets négro-africains ; que les autres ethnies du Mali, qu'elles soient Bambaras, Songaï ou autres, ont autant possédé de captifs que les touaregs, qui aujourd'hui, n'en n'ont plus elles.

Nous souhaitons que, face aux Etats qui nous oppriment et nous persécutent et qui ont la mémoire assez courte pour oublier ce qu'ils revendiquaient hier, le Maroc, lui, nation chargée d'histoire, reste fidèle aux principes pour lesquels il a versé tant de sang. Mais votre pays doit savoir qu'on ne résoudra pas nos difficultés en nous venant en aide par de actions contre la faim. Nous refusons cette politique de l'assistanat dans laquelle le Mali végète.

Nous avons des moyens suffisants pour vivre et la maîtrise parfaite de notre environnement, et plus que jamais aussi, la volonté ; l'énergie et la détermination de nous prendre, nous-même, en charge. Nous ne demandons pas autre chose que de bénéficier de garanties reconnues à tous les autres peuples. Ce qui nous manque, et que nous revendiquons, est la liberté de pouvoir disposer de

nous-même pour assumer notre destin.

Ceci ne peut se concevoir sans un espace qui nous soit internationalement reconnu, par conséquent inaliénable, sur lequel nous pourrions exercer notre mode de vie, élever nos enfants dans notre propre culture.

Sur cet espace nous désirons pouvoir bâtir des villages quand la nécessité de la sédentarisation s'imposera ; des villes et des villages où notre langue et notre histoire seront enseignées comme celles des autres peuples.

Nous ne souhaitons, en aucune manière attenter à la souveraineté et ni à la stabilité des Etats voisins, ni encore moins nuire aux intérêts du Maroc dans cette région. Nous en appelons au Maroc, à votre Majesté et nous aimerons qu'elle sache notre détermination inflexible à retrouver la liberté et la dignité sans lesquelles nous sommes de ceux qui n'ont plus rien à perdre.

Nous demandons...

- *La cessation immédiate des massacres de civils par l'armée malienne*
- *La reconnaissance par l'Etat Malien des faits de guerre et dans ce contexte, le respect des conventions internationales*
- *Le retrait des forces armées maliennes de l'ensemble des 6^e et 7^e régions (TOMBOUCTOU ET GAO) et le déploiement d'une force d'interposition neutre le long de la frontière, des régions sus-mentionnées, au sud, et ce, jusqu'à l'examen et au réglément de la question touarègue aux Nations-Unies et au sein des instances internationales appropriées*

- *L'intervention rapide d'organismes humanitaires auprès de populations civiles que l'armée malienne prive de tout approvisionnement et de tout secours depuis le début des hostilités*
- *La suspension de toute aide du Maroc, de la France, de la communauté européenne, et des autres partenaires de développement au Mali, y compris les remises de dettes*
- *La constitution d'une commission d'enquête internationale indépendante sur les massacres des populations civiles.*

Harassé de provocations ; meurtri d'indignation et d'injustices ; notre peuple a choisi de se défendre même au prix d'un suicide collectif.

قامت القوى الامازيغية الازوادية الحية بموريتانيا بارسال مذكرة توضيحية عن الوضع القائم للطوارق الى حكومة الولايات المتحدة الامريكية عن طريق سفيرها في نواكشوط.

إلى حكومة الولايات المتحدة الأمريكية

السادة الكرام،

بعد التحية والاحترام، يسرنا أن ننقل إليكم عبر هذه الورقة نبذة مختصرة عن قضيتنا الأزوادية.

إن قضية الطوارق -أزواد- ليست وليدة اليوم، بل هي من أهم القضايا السياسية بالمنطقة، ومنذ بوادر استقلال الأقاليم المستعمرة بعد نهاية الحرب العالمية الثانية، حيث خاطب أبناء منطقة أزواد حكومة فرنسا من خلال الجنرال ديكول، طالبين صيانة هوية أزواد واحترامها، ممثلين بأكثر من 360 شخصية اعتبارية، وقاموا بتقديم مذكرة للرئاسة الفرنسية، تشرح بوضوح الحقائق الواقعية والإجتماعية، التي تؤكد عدم إمكانية تبعية الطوارق "أزواد" لبماكو، واستحالة الاندماج في ذلك الواقع، كما أكدوا عدم تبعية أزواد لأية عاصمة بالشمال.

وقد كانت تلك العريضة التاريخية موضع نقاش البرلمان الفرنسي في عدة جلسات خاصة بين عامي 1957-1958م.

ولكن أحلام الطوارق الأزوايين ذهبت ضحية مخططات ودسائس الماركسيين البارزين بالمنطقة حينها، من أمثال الدكتور موديو كيتا رئيس مالي، وحليفه جمال عبد الناصر رئيس مصر وآخرين. وبعد الانسحاب الفرنسي واستقلال المنطقة، وبعد ما يُست جهود الأزوايين السياسية، وسدت أمامهم كل الطرق السلمية، بدءوا بالتحرك العسكري، رافضين عملية الضم تلك، وتبعية بماكو.

وقد قدمت مصر "عبد الناصر" والجزائر "بن بله" دعما كبيرا جدا لدكتاتور المالي، مكونين معه "المثلث الماركسي" لقمع أزواد، وكان هذا الدعم سياسيا وعسكريا، وكانت الجريمة الكبرى أن استدعى الرئيس الجزائري "بن بله" زعماء الحركة آنذاك، عارضا الوساطة، وبمجرد وصولهم للأرض الجزائرية، تم استقبالهم بالسلاسل، وسلموا إلى بماكو. وكانت هذه فاجعة كبيرة على أبناء أزواد عامة، وخصوصا كبار السن، حيث أدت إلى إعاقة بعضهم إعاقة تامة، حيث فقد البعض بصرهم بمجرد سماع الخبر، وأصيب البعض بشلل عن الحركة، كان ذلك سنة 1963م.

السادة المحترمون،

إن معاناة الشعب الأزوايدي بدأت واستمرت منذ تلك الفترة إلى اليوم، وكانت المنطقة دائما ساحة للإنفجارات العسكرية المتكررة، والأزمات الإنسانية المترامية، مما جعلها تربة خصبة لمختلف النشاطات المشبوهة.

إن ما حدث في تنبكتو بتاريخ 1996/03/27م كان محاولة جد جادة لتحقيق عملية الاندماج بشهادة الجميع، القريب والبعيد، وكان ثمن تلك الخطوة باهظا جدا، ومكلفا

للغاية، ولكن ما حدث؟. إنه بعد مرور عشر سنوات تماما انفجرت الأوضاع من جديد، ما أكد بجلاء صحة الموقف والنقاط التي رفعها ممثلوا شعب أزواد إلى الحكومة الفرنسية، قبل خمسين سنة.

إن من واجب المجتمع الدولي، والدول الفاعلة -بشكل خاص- إعادة النظر في الأولويات بالمنطقة، واتخاذ التدابير اللازمة لحل جذري لهذه المسألة، وقوفا عند رغبة أبناء أزواد، وحقهم في الاستقرار والتنمية.

أيها الأصدقاء،

إنه استجابة لضمائرنا وواجب إنقاذ شعبنا وأرضنا، والمساهمة بأمن الإقليم والعالم، والذي أصبح مرتبطا أكثر فأكثر، عليه نضع أمامكم النقاط التالية:

أ - إن الوضع المتأزم بمنطقة أزواد، لا يمكن أن تتم معالجته إلا بتمكين الأزوايين من تسيير شؤونهم ذاتيا، سياسيا وأمنيا، واقتصاديا وثقافيا، وبشكل رسمي ومعترف به.

ب - إن أبناء الطوارق الأزوايين، خاصة منهم الأجيال الجديدة، الذين نضجوا في بيئة من الاضطهاد والإقصاء، ممن كانوا أبناء لاجئين في المخيمات، كما هو الحال في ليبيا والجزائر، أو مواطنين من الدرجة الثانية أو الثالثة... في مالي. إنهم أخذوا قرارهم بحل قضيتهم، وتحصيل حقوقهم فوق أرضهم "أزواد" وذلك باستخدام كل الوسائل الممكنة، ومع الالتزام الكامل بالقوانين والأعراف الدولية والإنسانية.

ج - إننا نتوجه إليكم الآن، بعد فقداننا الأمل من أن تقوم دول الإقليم بمعالجة مخرصة للقضية، بل بعد أن اكتشفنا أن بعض هذه الدول هي التي تمنع دائما من حصولنا على أبسط

حقوقنا ، وبدرجة أكبر من الدولة الخصم نفسها. عليه نضع المسألة بين أيديكم ، طالبين عونكم في جميع المجالات ، ومعلنين استعدادنا للتنسيق الاستراتيجي معكم في مختلف المسائل.

وتقبلوا فائق التقدير والاحترام.